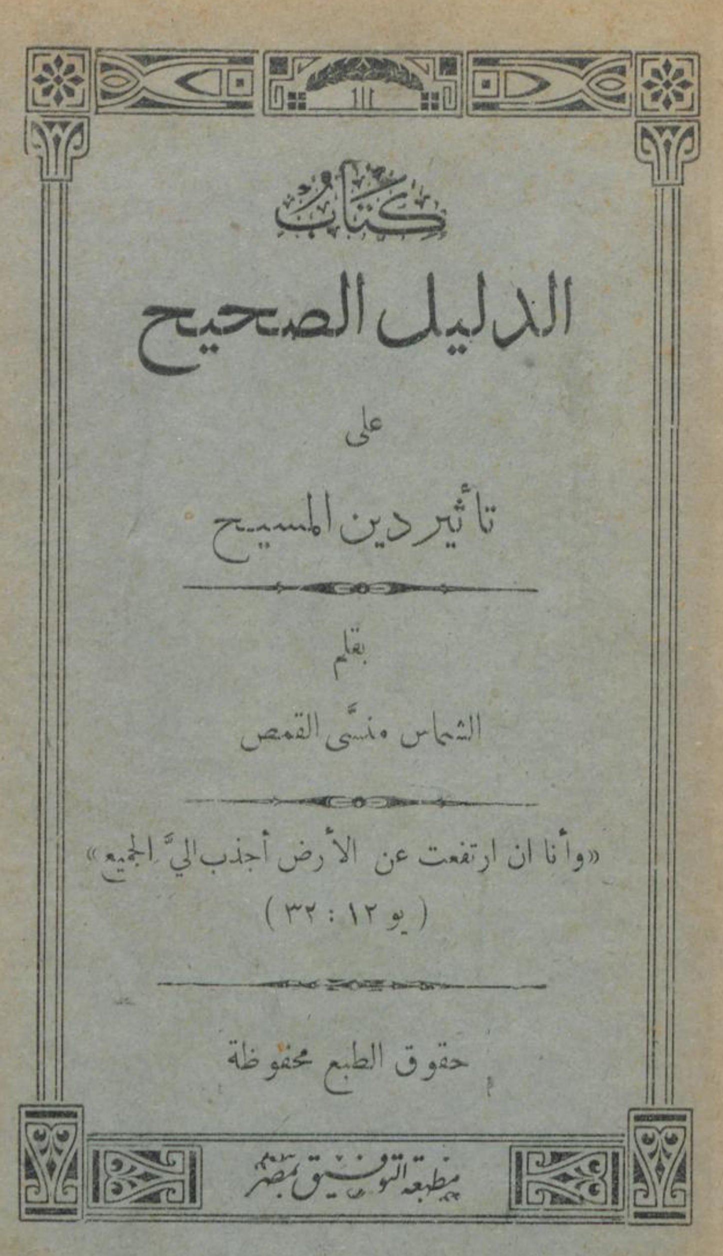


كتاب

الدليل الصحيح

على

تأثير دين المسيح

بقلم

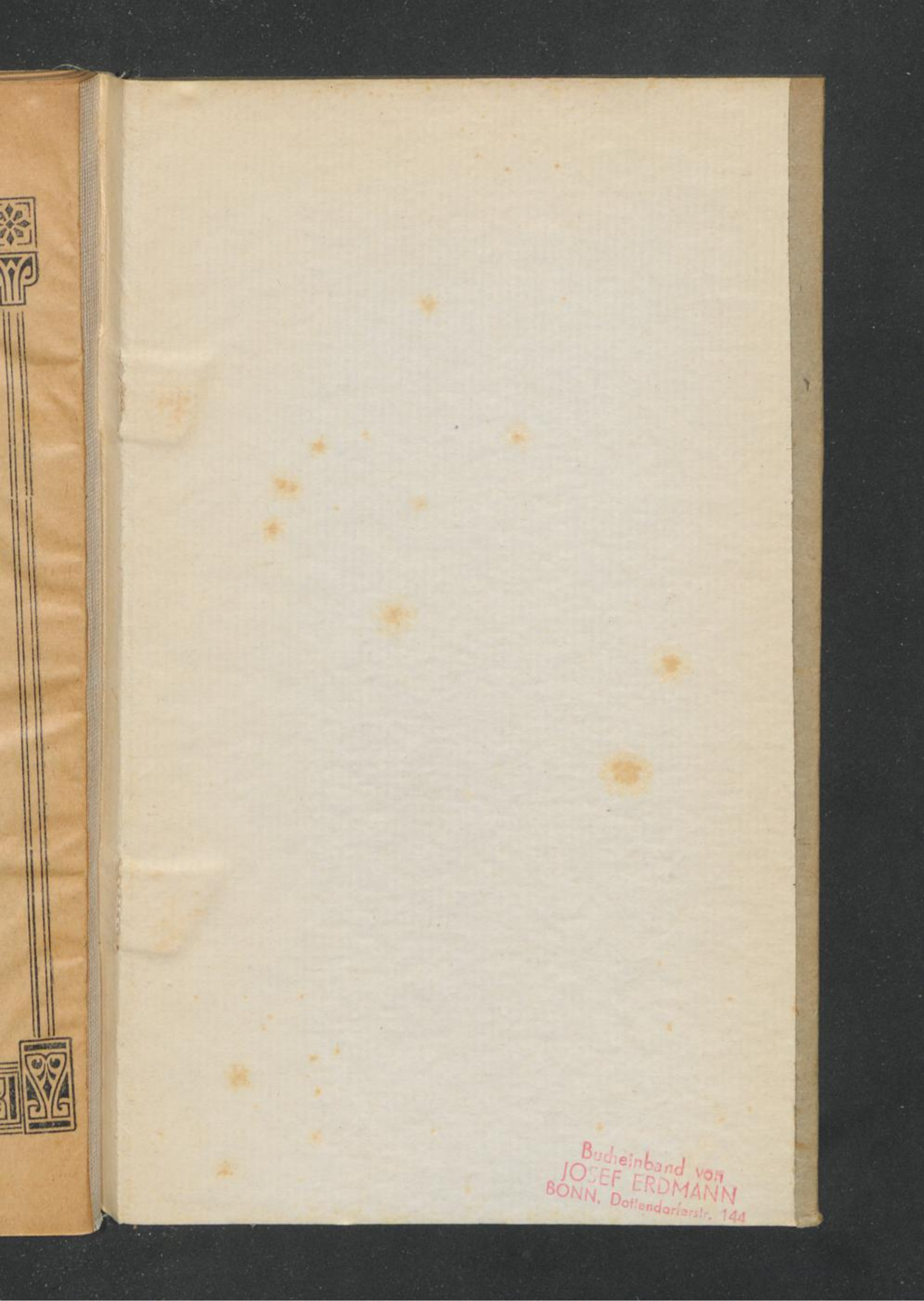
الشماس منسّى القمص

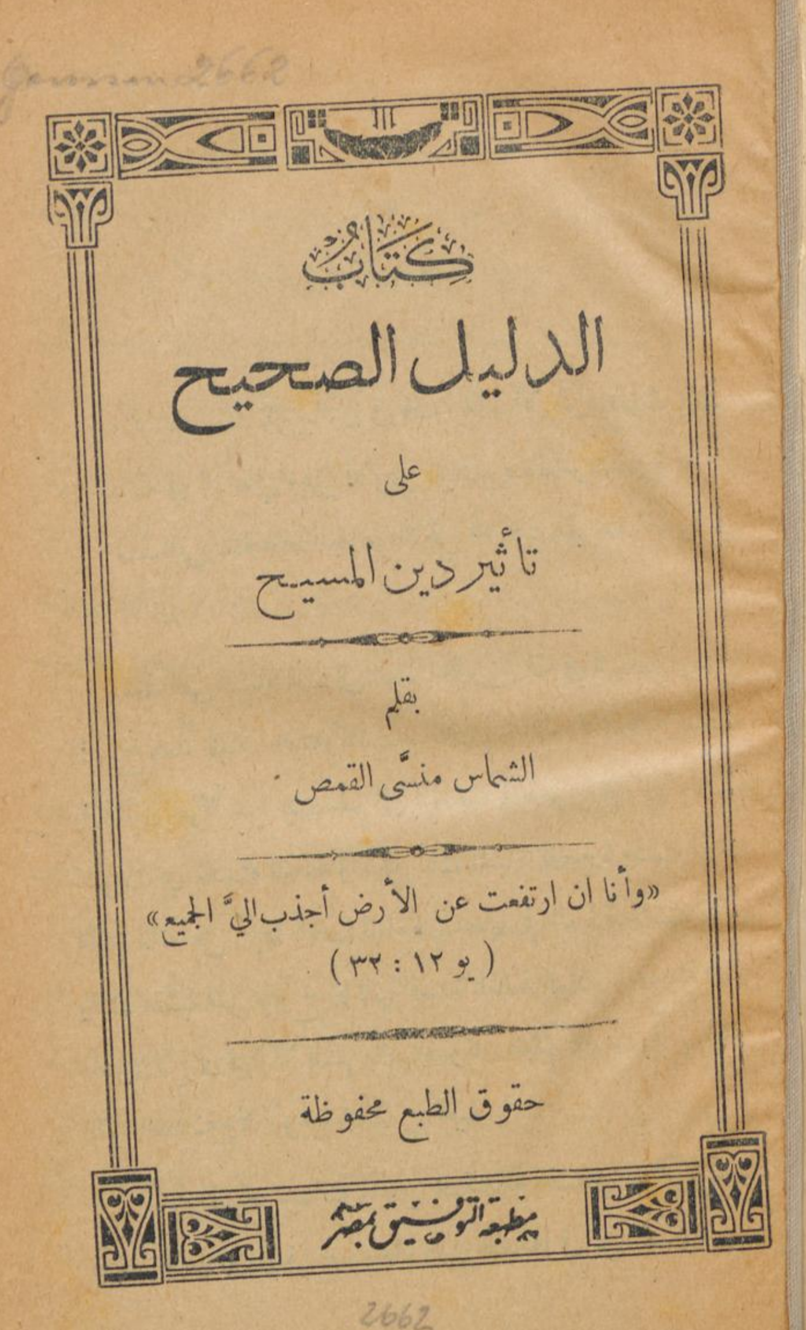
«وأنا ان ارتفعت عن الأرض أجذب اليَّ الجميع»

(يو ١٢ : ٣٢)

مطبعة التوفيق بمصر

الطبعة الاولى سنة ١٩٢٠


Bucheinband von
JOSEF ERDMANN
BONN, Dottendorferstr. 144



كتاب

الدليل الصحيح

على

تأثير دين المسيح

بقلم

الشماس منسّى القمص

«وأنا ان ارتفعت عن الأرض أجذب اليّ الجميع»
(يو ١٢ : ٣٢)

مطبعة التوفيق بمصر

مقدمة

منذ الفى سنة تقريباً رن في فضاء هذه الارض صوت يقول « المجد لله في الأعالي وعلى الارض السلام و بالناس المسرة »

منذ الفى سنة هبط الجوهر الالهي للاتحاد بالمادة الترابية في عالمنا الدنيء

منذ الفي سنة جاء الى العالم اعلان الله في شخص يسوع المسيح معلناً للبشر محبته وكانت حياته قصيرة الامد لا تتجاوز الثلاثة والثلاثين حولاً من بيت لحم الى الجلجثة لم يقض منها الا ثلاث سنوات في خدمته العامة ولكن تلك الحياة القصيرة وذلك الموت الذي ماته على أثرها أحدثا انقلاباً عظيما في العالم فكانت الأمم وقتئذ متشبعة من روح الانانية قعيدة الظلمة الليلاء وحضينة الشر المدلهم لا يرى فيها الا الشر والفساد وكان العالم كله مسوقاً بسلطان القوة الغاشمة ولا أثر فيه لناموس المحبة

فجاء المسيح برسالته وأعلن محبة الله ورغبته في ايواء كل شارد فكان لاعلانه رنة فرح ورجاء دوى صداها في كل المسكونه

يسوع المسيح ابن الله صار ابن الانسان فاستبدل عرش المجد بمذود بيت لحم وآثر سخريات الناس على هتاف الاجواق السمائية ورضي باكايل الشوك بديلا عن اكايل العظمة والأبهة . وكان من عائلة فقيرة يمتهن حرفة النجارة ومن شعب مرذول ومحتقر كان يتجرع وقتئذ كؤوس الذل مترعة تحت نير الامبراطورية الرومانية

ولما كان طفلا هرب مع والديه الى مصر طلباً في النجاة وبعد ان أتم مهمته قضى مجرماً على الصليب ولكن قبل ان يموت أوعز الى نفرٍ قليل من الصيادين والفقراء ان يبشروا بحياته وبموته ورسالته ففعلوا ومن ذلك الحين نرى الممالك والامم تعتنق المسيحية الواحدة بعد الاخرى

ولم يكن هناك سبب جعل الناس يؤمنون بالمسيحية الا لأن السيد المسيح أتى بالتعاليم المثلى التي كانت دواء شافياً لعلل البشر الكثيرة التي أنتابتهم والذي لبثوا يئنون منها قروناً عديدة . حتى ان من يقارن حال العالم قبل ظهور المسيحية وحاله بعد ظهورها يرى الفرق واضحاً لكل ذي عينين فالآداب تحسنت والعلوم أزهرت والعادات ارتقت والضمائر اطمأنت ولم نعد نسمع أنات المظلومين وزفرات البائسين فالعدل انتشر والملاجيء شيدت لأيواء العجزة

والمقعدين وشعر الناس بواجباتهم نحو بعضهم فطفق العالم يرشد الجاهل وأخذ البصير يقود الاعمى. كل هذه وغيرها ثمار جناها العالم من فضل تأثير المسيحية وفعلها الحسن السريع في النفوس

أجل . ان المسيحية لا تعمل بقوة السلطان أو البطش أو بالطنطنة والصراخ ولكنها بقوة خفية لا ترى . ولا غرو فان بعض القوى الطبيعية في العالم المادي تتبع هذا المثال . فهل يشعر أحد بدوران الارض حول الشمس ؟ أو هل يشعر أحد بكيفية نموه ؟ أو هل نسمع قوة الجاذبية التي تحدث المد والجزر في البحار. هكذا قوى المسيحية تفعل فعلها وراء الستار ولا نرى الا نتائجها

رب معترض يقول : اننا نرى الامم المسيحية لا تخلو من الشرور والمساوىء الادبية بل كثيرا ما تتطاير منها شرور الأثم الى غيرها . فنجيب ان الشرور والمساوىء لا مناص منها في عالم متسع مثل هذا مملوء من المطامع الاشعبية ومشحون بحب الذات والأثرة بالسلطه . ولسنا من الذين يقولون بامكان اجتثاث شأفة الشر من العالم . ولكن قادة الرأي العام فى كل البلدان المسيحية يناضلون نضال الابطال ضد كل هذه المساوىء و يرفعون عقيرتهم بالشكوى من دوس الشرائع المسيحية و يعضدهم في ذلك كل المسيحيين الحقيقيين

على ان ازدياد عـدد المعترفين بعظمة المسيح ولاهوته مع حقارة شأنه في مبدأ الامر وثبات المسيحيه للآن ضد العقبات العديدة التي اعترضتها . وتأثيرها العجيب وفضلها على العالم مما يبرهن بكل صراحة على أحقيتها ومما يجعلنا نؤمن اكثر فاكثر ان المسيحية هي الدين السماوي الذي أوجده الله في العالم لخير مخلوقاته ماداموا على الارض وبها يصلون مكان الراحة في العالم الاخروي

منسّى القمص



الباب الاول

(شهادة العظماء للمسيح)

« ان سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ » (لو ١٩ : ٤٠)

في القرن الماضي بعثت مجلة انكليزية تصدر في لندرا الى مئة من مشاهير انكلترا في ذلك الوقت سؤالا تطلب فيه من كل واحد منهم ان يحصى لها عشرة من اشهر مشاهير العالم وعظمائه منذ الخليقة الى الآن . وقد اخذت واحد من المسؤولين الحماقة وكان كافراً فأحصى بين الرجال الذين انتقاهم يسوع المسيح باعتبار انه من مشاهير العالم ولما نشرت المجلة أجوبة الجميع استشاط ذلك المجيب غيظا و بعث يقول للمجلة « لماذا لم يعد المسؤولون الآخرون المسيح من ضمن مشاهير العالم؟» فكان جواب التسعة والتسعين — لا يجب علينا ان نحسب المسيح في عداد البشر الناقصين لانه اله بل هو الذي خلق الجميع ووهبهم ما وهب من المواهب التي عززت شهرتهم ونشرت اسمهم — ثم قالوا لو كنا نريد ان نحصى المسيح بينهم لما كتبنا على اوراقنا سوى كلمة واحدة هي (المسيح) لانه باعتباره انسان ظهر في العالم لا يجاريه مخلوق لا في الاعمال ولا

الشهرة ولا العظمة فهو فوق الجميع الهاً وانساناً) اه

أجل . وقد يتوهم الكثيرون ان جعل اسم يسوع بين أسماء مشاهير العالم مما يضعف شأنه ولكن يامن تساوون المسيح بعظماء الدهر أقول لكم . ان عظماء العالم ومشاهير الوجود لم يجمعوا على ان يعظموا شخصاً بمقدار ما أجمعوا على تعظيم وتمجيد المسيح يسوع فقد نطقوا سواء كانوا كفرة أومؤمنين بانه اله (ولا يستطيع أحد ان يسلك سلوكه أو يعمل الاعمال التي عمل ان لم يكن الهاً) وتحقيقاً لقولي هذا سأدرج في هذا الباب كلما وقفت عليه في الكتب أو المجلات من أقوال العظماء بشأن المسيح ليطلع عليها من يجاهرون بانكار الشمس في ابان الظهيرة في يوم صفا أديمه ورق نسيمه

ولا اخفي ان ما دعاني الى الكتابةفي هذا الصدد هو ان احد الطلبه المصريين الذين انهووا علومهم بمدارس اوربا والذين تشبعوا بالمبادىء الكفريه قال لي يوماً بينما كنا نتكلم عن عظمة المسيح « ان فولتير أتي بتعاليم انقى من تعاليم المسيح وعمل في فرنسا مالم يستطع المسيح ان يعمله فالديانه المسيحيه اوصلت فرنسا الى اسفل دركات الانحطاط ولكنها بمبادىء فولتير وأراءه نفضت عنها كل خرافات المسيحيه التى أخرتها » اه فاجبته « ان سر سقوط فرنسا في العصور المظلمه لم يكن منشأه تعاليم المسيحيه

ولكن كانت علته استبداد الكهنه وهؤلاء عملوا ما نهاهم الانجيل عنه وما لم يأمرهم به السيد المسيح اما تعاليم المسيح من حيث هي تعاليم فهى افضل الشرائع التى وجدت للآن بل هي التي عملت على تغيير الانسانية من صوره فاسده الى صورة مجيدة وقد شهد بذلك احد الكتبه المشهورين اذ قال « ان ما جاء في الكتب المقدسة من التصريحات والبينات يدل دلالة واضحة على ان الذين رافقوا المسيح اعتبروه الهاً وانه هو اعتبر نفسه الهاً وهكذا نظراليه الذين كتبوا بالهام الروح . ولكن علاوة على هذه الشهادات الكتابيه الواضحه فان التأثير الذى تركه يسوع في العالم يشهد بلاهوته شهادة لا ترد » اه

فقال لي ذلك الطالب ان لم يكن فولتير اعظم من المسيح فهو على الاقل نظيره وان يسوع لا يخرج عن كونه عظيماً من عظماء العالم . فقلت له ان عظماء العالم انفسهم اجمعوا على ان المسيح هو اعظم منهم جميعاً وانه اعظم من انسان فماذا تقول ؟ . فاجابني لم اطلع على اقوال واحد منهم بهذا الشأن . ولكنني خدمة للحقيقه جمعت له طائفة كبيره من اقوال العظماء في شخص المسيح وقدمتها له حتى اقتنع وحرصاً عليها وعلى قوتها لاقناع كل مكابر اردنا ان ندونها للقراء وها هي حسب الترتيب الزمني وهي ثلاثة اقسام

(الاول) شهادة عظماء العالم للمسيح قبل ظهوره (الثاني) شهادتهم له في ابان ظهوره (الثالث) شهادتهم له بعد ظهوره

الفصل الاول

(شهادة العظماء للمسيح قبل ظهوره)

مع انه لم يترك نفسه بلا شاهد (اع ١٤ : ١٧)

لقد كانت المواعيد الالهيه بظهور مصلح للعالم ومخلص له صريحة هكذا وواضحة وبناء عليها كان القدماء يتوقعون بالصبر مجيء ذلك الانسان حتى ان الذين بلغوا الدرجة السامية من العلم الذين رأوا فساد العالم وعدم قدرة حكمائه على اصلاحه تحققوا ضرورة مجيء شخص قادر على اصلاحه

جاء في كتاب « الحكمة الالهية » ص ٨٩ ما نصه : « لقد قام رجال كثيرون مشهورون بذكاء العقل ووفور الحكمة وصرفوا حياتهم في تطلب سر سعادة البشر الحقيقية ولكن كل منهم ارتأى طريقاً للحصول عليها تخالف ما رتآه غيره وما من طريق من تلك الطرق فاز بالغرض او اعتنقه الشعب عامة . و بعد

ان صرف اولئك الفلاسفة زمانهم في المناظرة والمشاحنه وكل منهم يدعى بانه اكتشف ذلك السر المصون وقضوا حياتهم بالتعب ضمتهم الارض كما ضمت اسلافهم فترك الانسان في شقاوته غير مكتف بحاله لان الفلسفه ابانت داء قلبه العضال ولم ترشده الى الدواء . ويمكننا ان نستثنى من هؤلاء الفلاسفه سقراط وافلاطون فانهما لما رأيا بعين الحكمة فساد الطبيعة البشرية وعدم قدرة البشر على اصلاحها ولما تأكد عندهما احتياج الانسان الى دواء ناجع وترسخ في اذهانهما جودة خالق البشر قالا على رؤوس الاشهاد «لا بد من اتيان معلم سماوي يرد الحق والسعادة الى النفس الانسانيه» اه

ويظهر من المحاوره الآتيه ان افلاطون اعتقد ان الانسان لا يقدر ان يعلم حقيقة الآلهة ولا الطريق المناسبة للعبادة . الم يأت معلم من السماء . والمحاورة بين سقراط والسيبادس

قال سقراط : ان الصبر اجمل ، وعليك ان تصطبر حتى يأتي من يعلمك واجباتك للآلهة وللبشر

قال السيبادس : متى يأتي ذلك الوقت ياسقراط ومن يعلمني فاني اود كثيراً ان أراه من هو؟

قال سقراط : انه ليهتم بك ولكن ألا ترى أن هو ميروس

قال عن منرفا انها نزعت الظلمه عن عيني ديوميدس لكي يميز الاله من الانسان فكذلك على هذا الاله ان ينزع الظلمه اولا من عقلك و يقرب اليك الامور التي تجعلك تميز الخير والشر

قال السبياديس : لينزع الظلمه وكل ما يريد نزعه مني واياً كان هذا الشخص اني مستعد ان لا اخالف له قولاً اذا كان في وسعه ان يجعلني افضل مما انا . اه (راجع افلاطون كتابه عن السبيادس)

ومن يطلع على عقيدة اليونان القديمة ومتيولوجتيها لاشك يعلم اذ وجد من يدعى بروميته الذى تكبر واراد ان يساوي نفسه بالآلهة فارسلت له هذه عقابا يعذبه على جبال القوقاز فشفقت اليونان عليه وارسلت له هرقل مخلصا فلم يفلح فقال اشيل [1] « الاله وحده هو الذي يأتي و يفتدي هذا البائس » اه

وقال الشاعر الخالد فرجيل [2] في انشودته الرابعة « سترى

---

(١) اشيلوس ٥٢٥ — ٥٥٦ق .م اول شاعر راوي شهير . مبتدع فن التشخيص . يفوق سواه في سمو الافكار

(٢) فرجيل ٧٠ — ١١٩ ب . م هوميروس الرومان ويسمى بساحر البيان وملك الفصاحة

الانسانية جيلا جديداً بولادة طفل ينزل من السماء وينتسب الى الآلهة» اه

وقال كونفوشيوس (١) « سمعت ان في الجهات القريبة من آسيا سيظهر رجل صالح يعمل أعمالا غريبة عجيبة لانه مرسل من السماء ويكون له السلطان على الارض (راجع كتاب الوسط الغير المتغير ترجمة ايل رموزات صحيفة١٤٤و١٤٥) اه

بل اسمعوا أيضاً ماقاله « تاسيت » (٢) « سينهض الشرق وسيخرج من اليهودية من يسود العالم » اه

وقال سوتيون صديق القياصرة « ان الشرق بأجمعه متشبع بفكرة ان من اليهودية سيوجد من يسود العالم » اه

قال هرمس في كتابه المعروف بكتاب التسعة احجار «العدل يبطل والامة القديرة تشغب وتطلب ماليس لها بحق أيضا والمخزون تظهر أيامه وهو آب يكون في الارض وتتآمر الامة النجسة بالباطل

---

(١) كونفوشيوس . في القرن السادس ق . م اخلاقه ومبادئه صارت أساس التمدن الصيني

(٢) تاسيتوس ٥٥ — ١١٨ ق.م هو من اعظم المؤرخين . العالم مديون له باكثر معارفه التاريخية لاسيما عن البريطان الاولين وعن الجرمانيين

هم وحكماؤهم على ملك الملوك » اه

وقال سولس « الملك العظيم النقي بلا دنس رب الانام الذي كل شيء بعد ضيائه. ننظره » اه

وقال ادفش « واحد هو فقط الضوء الغـير المحسوس وهو في كل وقت الذي يحوز الفـكرين والـكلمة المولود منه كاملة في كل شيء وصانعة كل شيء » اه

وقال افلاطون [١] « واحـد هو الاله العلي في العـلاء الذي كلمته الغير المحسوسة حبلت بها جارية وهذا مثل الفأس المتردية بالنار وسلك في احشائها ويدخر العالم ويقر به لابيـه قرباناً واسم الجارية العذراء » اه

وقال سقراط [٢] « ان العلي الاعلى يظهر في الارض ويقيم الموتي ويظهر آياته الربانية ويرجع الى عرشـه الرهيب ولا يعودون يرونه الى يوم الحـكم العظيم » اه

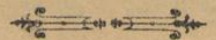
---

(١) افلاطون ٤٢٩ — ٣٤٨ ق . م يقول اميرسون « افلاطون هو الفلسقة والفلسفة هي افلاطون»

(٢) سقراط ٤٦٩ — ٣٩٩ ق . م فيلسوف الاداب — حيوته وموته وتعاليمه هي المدنية الحقيقية —

وقال ارسطو [١] في كتابه المسمى السكنوز « ان كنز الحياة عند ادوناي الاله الذي يظهر في المسكونة اجمع و يسمع صوته الذين في القبور ويقومون » اه

هذه هي شهادات اعظم فلاسفة العصور القديمة عن المسيح اوحتها اليهم روح الاستقراء والبحث و بعد ان انتشرت الديانة المسيحية اخذ الفلاسفة يبحثون فيها بعين التروي فوجدوها الغاية الوحيدة التي صرفوا حياتهم هم ومن سلفهم في التفتيش عنها ولم يجدوها ومما يؤيد ذلك قول اكلمندس الاسكندري « ان الفلسفة ارشدت اليونانيين الى المسيح كما ان الناموس ارشد اليهود اليه » اه



(١) ارسطوطاليس ٣٨٤—٣٢٢ق٠م باحث في ماحول الانسان. مؤسس الفلسفة التحليلية

الفصل الثاني

(شهادة العظماء للمسيح في إبان ظهوره)

«وكان الجميع يشهدون له» (لو ٤ : ٢٢)

ولد السيد المسيح فدوى خبره في اطراف المسكونة وجعلت الامم ترمي اليه الالحاظ واخذت العيون تجتلبه شاخصة اليه بالنظارات المعظمة وما هو الا زمن قصير حتى عرفوا كل شيء . عرفوا ان هذا هو مخلص الانسان او كما عرفه احد المشاهير في ذلك الوقت «حمل الله الذي يرفع خطية العالم»

ظهر السيد المسيح فهز عروش السلاطين وخلع قلوب اصحاب التيجان وطفق ولاة الرومان في اليهوديه يبعثون المكاتيب تلوَ المكاتيب عن هذا الشخص العجيب وعن اعمال قدرته الفائقه وقد عثرنا على ثلاثه مكاتيب من هذا القبيل ندرجها لما فيها من الشهادة القويه الصادره من اعظم الرجال الوثنيين لعظمة المسيح والوهيته وقوته العجيبه وحوادثه الغريبه

اولاً (المكتوب الاول) [١] وجد في الفاتيكان بروميه فحواه تقرير بيلاطس [٢] حاكم اليهودية الى الامبراطور طيباريوس

---

(١) هذا المكتوب نشرته جريدة (الاجبشيان غازيت) وقد صدرته بمقدمة هذا نصها : « عثر احد الاساتذه الالمانيين المهتمين بالاكتشاف والآثار القديمة علي كتاب مخطوط من بيلاطس البنطي والي اليهوديه الى طيباريوس قيصر بخصوص صلب السيد المسيح ويهم ان ينسخ صورة منه الا انه ذكر بعد مضي زمن هذا الاثر ووجوده في مكتبة الفاتيكان امام المستر هامان احد الخدمه المسيحيين فشعر بفائدته الجزيلة وطلب الحصول على ترجمته فكتب الي الاستاذ الالماني يكلفه بهذا الامر وكان صديقاً للاب فريلهنوسن باشمحافظ الفاتيكان وقد حصل المستر هامان على بغيته في مقابل دفع ٧٢ ريالا

« وقد عثرنا على ترجمة هذا الخطاب باللغة الانجليزية في مجلة « ZION'S WATCH TOWER » في شهر فبراير سنة ١٨٩٢ م فاجبنا ان نتحف حضرات القراء بنقله اليهم حيث يجدون فيه شهادة لكل ما جاء في الاناجيل المقدسه تفصيلا عن صلب الرب يسوع » اه (عن مجلة الكرمة السنة الثانية ص ٤٣٤)

(٢) بيلاطس هو وأل اقامته الحكومة الرومانيه نائباً اوحا كماً على اليهوديه في سنة ٢٩ م واستمر حكمه بضع سنين الى ما بعد صعود

قيصر [١] ايضاحاً للاسباب التي ادت الى الضجه في اورشليم طلباً لموت يسوع الناصري . وهذا ترجمة الخطاب بالحرف الواحد :ـ

جناب الامبراطور طيباريوس قيصر الملك المفخم

بعد تقديم ما يجب لسامي المقام من السلام والاكرام . اعرض ان الحوادث التي حصلت في ولايتي في هذه الايام هي ذات شأن عظيم حتى رأيت من المناسب ان احرر لجنابكم تفصيلاتها لانه لا عجب اذا كانت تغير مستقبل امتنا على مر الايام وكر الاعوام لانه يظهر لي ان الالهة غضت الطرف وتخلت عنا في هذه الايام حتى اني اكاد ألعن اليوم الذي استلمت فيه زمام حكومة اليهودية عقب (فاليريوس جراتيوس) ولكن هكذا قدر وهكذا صار

مخلصنا وكانت قيصرية مركز ولايته وكان يصعد الى اورشليم الى دار الولايه فيقضي للشعب هنالك (يو ١٨ : ٢٨)

(١) طيباريوس قيصر كان اسمه التام طيباريوس كلوديوس نيرون وكان بعد اوغسطس (لو ٢ : ١ و ٣ : ١) ومع انه كان فيه بعض الاخلاق الممدوحه كان بالاجمال ظالماً قليل الحياء . وانقضت أكثر حياة المسيح مدة حكومته ويظن انه كان مجنوناً . وكان ابتداء ملكه سنة ١٤ ب . م وملك ٢٣ سنة

وعند وصولي الى اورشليم استلمت محل القضاء وأمرت باعداد وليمة فاخرة دعوت اليها رئيس ربع الجليل ورئيس الكهنه وحاشيته ومعيته ولكن لم يحضر أحد منهم في الميعاد المقرر للحضور فاعتبرت ذلك سبة واهانة لمركزي ومقامي . وبعد ايام قليلة تنازل جناب رئيس الكهنة وزارني وكانت تلوح على وجهه الهيبة والخداع وادعى ان ديانته لا تبيح ولا تجوز له ولا لحاشيته الجلوس على مائدة الرومانيين واهراق السكائب معهم . فرأيت ان الاقرب الى الصواب والسياسة قبول اعتذاره ولكن تأكد من هذه اللحظة ان هذه الامة المقهورة التابعة لنا اضمرت العدوان والمناواة لاسيادها المسئولين عليها . ويظهر لي ان مدينة اوشليم هي المدينة الوحيدة التي يصعب حكمها بخلاف باقى المدن التي استولينا عليها . فان دأب سكانها الميل الى العدوان والهيجان والاضطراب بحيث انني دائماً في ارق وقلق وجزع وفزع لئلا يخلعوا دثار الطاعة ويحدثوا القلاقل والفتن وليس عندي لقمعهم واخضاعهم سوى قائد مئة وشرذمة قليلة من العساكر تعد بالاصابع وطلبت من والي سورية ان يرسل لي امداديات فاخبرني انه لا يستغنى عن نفر واحد من عساكره فانهم غير كافيين لحماية ولايته وحفظ الامن الا بشق النفس . واخشى ان التولع الزائد لفتح البلاد وتدويخ العباد وتوسيع مملكتنا

اتساعاً فاحشاً حتى نعجز عن حمايتها والذب عنها يكون سبباً في ضعضعة اركان حكومتنا الفخيمة

ومن الاشاعات التي طرقت اذني واستلفتت انظاري بنوع خصوصي هذه الاشاعة : — وهي ان شاباً ظهر في الجليل يدعو الناس بفسحة ولهجة شريفه الى شريعة جديدة وكنت اخشى في مبدأ الامر ان تكون غايته توغير الصدور على الرومانيين واغراؤهم على القيام عليهم ولكن زال ما كان يختلج فؤادي من الريب وانقشعت مخاوفي فكان يؤخذ من كلام يسوع الناصري انه يميل الى الرومانيين اكثر من ميله الى اليهود وفي ذات يوم لما كنت ماراً في جهة « سلوا » [١] حيث كان مجتمعاً جمهور من الناس [٢] رأيت في بهوة الحلقة شاباً متوكئاً على شجرة يخاطب الجمهور بهدؤ وسكون فقلت بعد الاستفهام — ان هذا الشخص هو يسوع — وهو ما كنت انتظره واتوقعه ويلهمني اليه وجداني فانه كان يوجد بينه وبين السامعين بون عظيم وفرق جسيم فلون شعره الذهبي ولحيته اللطيفة جعلت هيئته سماويه ويظهر انه بلغ من العمر ثلاثين سنه [٣] ولم أرَ في حياتي وجهاً صبوحاً احلى واصفى

---

(١) ع ٣ : ١٥ ولو ١٣ : ٤ ويو ٩ : ٧ و ١١ (٢) لو ٦ : ١٧
(٣) لو ٣ : ٢٢

أو انقى من وجهه وما اعظم الفرق بينه و بين سامعيه ذوي اللحى السوداء واللون الاسمر [١] ولما كـنت لا اريد ان اشوش عليـه استمريت على السير ولـكن اوعزت الى كاتبي الخصوصي ان ينضم للجمهور وينصت لاقواله . واسم كاتبي هو « مانيليـوس » حفيد زعيم المتآمرين الذين حلوا في « أترورية» في انتظار « كاتلين وكان « مانيليوس » سابقاً من اليهودية وله المام تام باللغة العبرية واظهر الولاء والامانة لي وهو جدير بثقتي . ولما دخلت محل القضاء لقيت « مانيليوس » فقص عليّ اقوال يسوع التي نطق بها في « سلوا » ولم اسمع في خطب الخطباء ولا في مؤلفات الفلاسفه كلاماً يشبه كلام المسيح وجوامع كلمه [٢]

فسأله احد اليهود القسـاة العصاة — فان امثـال هذا العاتي كثـيرون في اورشليم — وقـال له : هل يجوز ان تعطى الجزية والجباية لقيصر أم لا ؟ فاجاب يسوع « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » [٣] فلذا اعطيت هذا الناصري بسبب حكمة اقواله حرية تامة لانه كان في استطـاعتي وامكاني القاء القبض عليه ونفيه الى بنطس ولـكن لو فعلت هذا لـكان منافياً للانصاف والعدل اللذين

---

(١) هذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على الوصف في المكتوب الثالث الاتي (٢) يو ٧ : ٤٦ (٣) مت ٢٢ : ١٥ — ٢٢

اشتهر بهما الرومان فلم يكن هذا الرجل من المفسدين ولا من العصاة[١] وجعلته تحت ظل حمايتي و رعايتي وان لم اطلعه على ذلك فيجوز له ان يفعل كيف يشاء و يتكلم مع من يشاء و يجتمع مع الناس و يخاطبهم[٢] ويختار تلاميذه بلا تضييق عليه ولا قيد[٣] فاذا قدر (لا سمحت الآلهة بوقوع هذا التشاؤم) بان تنسخ ديانة يسوع ديانة أسلافنا وجدودنا يكون سبب دفن ديانة رومية في الرمس وزوالها من الوجود واطلاق عنان الحرية للناس في الديانة واكون انا الرجل التعيس آلة ووسيلة فيما يسميه المسيحيون العناية ونسميه نحن بالمكتوب المقدر،

ولكن اطلاق الحرية ليسوع هيج اليهود الاغنياء والاقوياء لا البائسين والفقرا[٤] ولا ينكر ان يسوع كان صارماً على الاغنياء الاقوياء ومن رأيي ان عدم تقييد حرية الناصري هو لحكمة سياسية مفيدة فكان يقول للكتبة والفريسيين ما نصه « يا أولاد الافاعي أنتم تشبهون القبور المبيضه »[٥] وكان يزدري بصدقة العشارين الصادرة عن الكبرياء وأوضح لهم ان فلس الأرملة هو عند الله خير وأبقى وأثمن واغلى[٦] وكانت تقلم شكاوى جديدة

---

(١) يو ١٩ : ٤ (٢) مت ٥ : ١ (٣) يو ١ : ٣٥ — الخ (٤) مت ٢٦ : ٣و٤٣ (٥) مت ٢٣ : ٢٧ ولو ١١ : ٤٤ (٦) لو ٢٨ : ٢

كل يوم في محل القضاء على وقاحة اليهود . وبلغني أنهم عزموا على الفتك به (١) وليست هذه المرة الاولى التي رجمت فيها اورشليم أنبياءها وبلغ عتوهم ان قالوا اذا لم تنصفهم الولاية رفعوا دعواهم الى قيصر

ومع كل هذا فوقع سلوكي في مجلس « السناتو » في رومية موقع الاستحسان ووعدني بارسال الامداديات بعد الحرب البارتيانية وبما انه اذا استفحل الامر وحصلت ثورة فليس في استطاعتي اخمادها لعدم وجود القوة الكافية فلذلك عزمت علي اتخاذ هذه الطريقة التى تتكفل باستتباب الهدو والسكون في المدينة بدون تعريض الولاية للذل والاستكانة بالرضوخ لمقترحاتهم

فارسلت خطاباً الى يسوع طالباً مقابلته في محل القضاء للتحدث معه فابى الطلب . ولا يخفا كم ان في عروقي يجري الدم الاسبانيولي المختلط بالدم الروماني بحيث لا أخشى من اضطراب الجأش ولما وصل الناصرى كنت اتمشى في المحكمة وظهر ان قدمي ربطتا بيد حديد بارض المحكمة المبلطة بالرخام وارتعدت فرائصي كأني مجرم مع ان الناصري كان هادئاً ساكناً ولما دنا مني وقف وأشار اليَّ

---

(١) يو ١٠ : ٣١ و٣٩

كأنه يقول لي ها انا اتيت فتفرست بالاندهال والاحترام الى هذا الرجل العجيب الصورة والهيبة التي لم يكن لقرائح المصورين والنقاشين ان يأتوا بمثل هذا الشكل البديع مع تفننهم في رسم صور الآلهة والابطال . واخيراً قلت له ولساني متلعثم يا يسوع الناصري قد منحتك في الثلاث سنين الماضيه حريه وافرة لتخاطب الناس واني غير متأسف على هذا فان اقوالك هي اقوال حكيم ولا اعرف اذا كنت طالعت كتب « سقراط » او « افلاطون » او غيرهما ولكن الامر الاكيد عندي هو ان خطاباتك وأقوالك مشهورة بالبساطه السامية التي يرفع قدرك على اولئك الفلاسفة . و بلغ الامبراطور هذا الخبر و بما انني النائب عنه في الحكم على هذه الامه فانا منشرح لاني منحتك هذه الحرية فانك جدير بها

ومع ذلك لا أخفى عنك ان أقوالك وخطاباتك احدثت لك اعداء اقوياء الداء ولا عجب في هذا فقد كان لسقراط أعداء ومن شدة بغضهم له جرعوه غصص المنون . واعداؤك يستاؤون منك لسببين اولهما أقوالك وثانيهما الحرية التى خولتها لك . بل اتهموني بالاتحاد معك سراً لتجرد العبرانيين من السلطة الطفيفة التي تركتها رومية لهم . فغاية ما التمسه منك ولا أقول على سبيل الامر . هو ان تزداد تبصراً واحتياطياً في المستقبل وان لا توغر

صدور اعدائك لئلا يهيجوا عليك الاوباش ويحملوني على استعمال آلات العدل

فاجاب يسوع بهدوء : يا حضرة امير الارض ان أقوالك هذه ليست صادره من الحكمة الحقيقية . أيجوز ان تقول للتيار قف في وسط الجبل لانه يستأصل اشجار الوادي ؟ لاجابك هذا التيار الجارف قائلا — يجب على ان اطيع نواميس الخالق فالله الذي يعرف وحده المحل الذي يصب فيه التيار . الحق اقول لك انه قبل ان يزهر نرجس شارون يهرق دم البار . فاجبته بروعة وقلت له لا يسفك دمك فان منزلتك عندي بالنظر الى حلمك هي اسمى من منزلة جميع الفريسيين المتغطرسين الميالين الى الهيجان والعدوان الذين لم يعرفوا قيمة الحرية التي خولتها لهم الرومان بل تألبوا على القيصر وتآمروا عليه وتوهموا ان ما اظهرناه لهم من اللين هو خوف . ولم يدر هؤلاء الاسافل الوقحاء انه قد يلبس احياناً ذئب الاحراش جلد الغنم . وعلى كل حال سأحميك من مكائدهم وسراى عدالتي هي مفتوحة لك تلتجيء اليها في أي وقت شئت

فأطرق يسوع برأسه بلا مبالاة ولا اهتمام وقال بلطف وتبسم الهي — متى حل يوم ابن الانسان لا يكون له ملجأ في الارض ولا

تحت السماء وان ملجاء البار هو هناك . قال هذا مشيرا الى السموات وانه ينبغي ان يتم ما هو مكتوب في كتب الانبياء[١]

فاجبته بتؤده وقلت له : ايها الشاب انك تلزمني على تغيير طلبي الى امر فان سلامة الولاية التي فوض لي الاهتمام بشأنها تستلزم ذلك والواجب عليك ان تراعى زيادة الاعتدال في خطاباتك واتبع اوامري ولا تنقضها ولترافقك السعادة واودعك في امان الله

فاجاب يسوع وقال — يا أمير الارض انني لم آت بحرب الى هذا العالم بل اتيت بسلام ومحبة . وولدت في اليوم الذى اعطى فيه اوغسطس قيصر سلاماً للعالم الروماني فالاضطهاد لا يصدر مني بل من غيري وسالاقيه طاعة لارادة أبي الذي اراني الطريق [٢] فاذاً ا كظم تبصرك الدنيوي فليس في طاقتك ولا في استطاعتك ان تحجز الذبيحة عن الفداء

قال هذا واختفى كظل لامع خلف ستارة السراى

فالتجأ اليهود اعداء يسوع الى هيرودس الذي كان والياً على الجليل وطلبوا منه ان ينفث انتقامه على الناصري : فلو فوض الامر لهيرودس لامر بقتل المسيح حالاً . ولكن مع تباهيه بمقامه الملوكي

---

(١) لو ٤ : ٢١ و ١٨ : ٣١ ويو ١٩ : ٣٠

(٢) يو ١٨ : ١١

كان يخشى من الاقدام على عمل يحط نفوذه وشوكته في مجلس السناتو

(قال بيلاطس) ففي ذات يوم زارني هيرودس في محل الولاية ولما عزم على الانصراف بعد احاديث تافهة استفهم مني عما اراه بخصوص الناصري فاجبته قائلاً يظهر لي ان يسوع هو من كبار الفلاسفه الذي يندر ظهور مثله في الامم العظيمة وان تعاليمه لاتمس حرمة الدين مطلقاً وان غاية روميه ان تطلق له عنان الحرية في الخطابة فان سلوكه وتصرفه يجعلان له حقاً في ذلك . فتبسم هيرودس تبسم الحقدوالخبث وانصرف الى حال سبيله بعد ان سلم عليَّ سلام متهكم

وبما انه قرب عيد اليهود العظيم كان غرض أئمة ديانة اليهود انتهاز فرصة ضجه ورجة وهرج ومرج الشعب التي كانوا دائماً يظهرونها في احتفالات الفصح لدرك مآربهم وكانت المدينة غاصة برعاع اليهود اصحاب الشغب والاضطراب الذين يصيحون طالبين قتل الناصري وافادني رسلي بأن خزينة الهيكل صرفت على اغراء القوم على الهياج [١] والخطب جسيم حتى تطاولوا على قائد مئة روماني بالشتم وطلبت من والي سوريه أن يرسل الي مائة عسكري

---

(١) مت ٢٦ : ٦٠ و ٢٧ : ٢٠ و ٢٨ : ١١ — ١٥

من المشاة ومائه اخرى من العساكر الخيالة فلم يسعفني فرأيت نفسي فريداً بشرذمة من العساكر يعدون على الاصابع في وسط مدينة عاصية وليس في استطاعتي تسكين هذا الاضطراب واخماد نيران الشعب ولم يبق لي سبيل سوى ترك الامور تجري في مجاريها فالقى الاوباش الهائجون القبض على يسوع ولما آنسوا عدم الخوف من الحكومة اذ ظنوا مع زعمائهم انني جزع وفزع من ثورتهم تمادوا على الصياح قائلين (اصلبه اصلبه) [1]

وقد تحالف وتآمر في هذا الوقت ثلاثة احزاب اقوياء وبيان ذلك ان الهيرودسيين اتحدوا مع الصدوقيين على احداث الشغب والاضطراب لسببين اولهما بغضهم للناصري وثانيهما تولعهم لخلع نير روميه والتحرر من سلطانها فلم يغتفروا لي دخولي مدينتهم المقدسة بالبنادير والاعلام المرسوم عليها صورة امبراطور روميه وقد وقعت في هذا الخطأ المشئوم جهلاً مني بعاداتهم فاستبشعوا واستعظموا هذا الامر وعدوه انتهاكاً بحرمة الدين والامر الثاني الذي اوغر صدورهم وزاد حقدهم وكيدهم هو انني كنت اشرت بصرف جانب من خزينة الهيكل في تشييد ابنية ذات منافع عمومية فنبذوا هذه الاشارة ظهرياً

---

(١) مت ٢٧ : ٢٣ ويو ١٩ : ٦

وأيضا كان الفريسيون أعـداء يسوع الالداء ولم يكترثوا بحكومتنا وتجرعوا غصص التوبيخات والتنـديدات الصارمة التي رجمهم بها الناصري مدة ثلاث سنين حيثما توجه [١] ولما كانوا على جانب عظيم من النذالة والجبن وخور العزيمة ولجوا باشتياق وتولع أبواب مشاحنات الهيرودسيين والصدوقيين وزيادة على هـذه الاحزاب الثـلاثة تعين عليّ ان اكافح الاوباش والرعاع الجامحين في الغوايات الميالين الى الانحياز والى الثورات والفـتن — لانهم يستفيدون من الفوضوية والاختلال الناشيء عن هذه الفترة

فساقوا يسوع الى ان اتوا به امام رئيس الـكهنـة الذي كان وقتئذ قيافا [٢] فابدى رئيس الـكهنة عملا دل على خضوعه السخري وانه لو كان خاضعاً لنا خضوعاً حقيقياً وممتثلاً امتثالا صارماً لما حكم على يسوع بالموت فارسل اليّ لانطق بالحـكم عليه فاجبته قائلا — بما ان يسوع كان جليلياً فهذه القضية هي من اختصاصات هيرودس وبناء عليه أمرت بارساله الى الجليل . فتظاهر رئيس الربع — هذا الخداع المكار محتجاً باحترامه لمقامي بصفة كوني وكيـل القيصر

---

(١) لو ١٠ و١١ (٢) من يطلع على ختام الاناجيل الاربعة يرى اتفاقاً تاماً ومطابقة كلية لهذا المـكتوب فلتراجع اتماما للفائدة

وفوض أمر هذا الرجل لي وفي الحال صارت هيئة سراي كهيئة قلعة محصورة وكان يزداد عدد الثائرين كل لحظة وغصت اورشليم بالافواج الكثيرة الآتية عن جبال الناصرة وظهرلي ان كل اليهودية انسكبت في اورشليم انسكاباً وكنت اقترنت بزوجة من الغال ادعت ان لها علماً بالمستقبل فبكت والقت بنفسها عند قدمي وقالت لي « احترس ولا تمس هذا الرجل لانه قدوس فرأيته البارحة في رؤيا الليل ماشياً على الماء وطائراً على أجنحة الرياح وكلم العاصفة وأسماك البحيرة وكان الكل مطيعاً له ممتثلا لامره وهو ذا سيل جبل قدرون جارياً بالدم وتماثيل القيصر ملآنة باقذار (جيمونيه) وأعمدة الانتريم سقطت وسترت الشمس حداداً كالعذارى الباكيات على القبر « فيابيلاطس اذا لم تنصت لالتماس زوجتك لابد ان يلاقيك الشر وأخش لعنة السناتو الروماني و بأس القيصر »

وفي هذا الاثناء كادت سلالم الرخام ان تسقط من ثقل الامواج الكثيرة فأتوا ثانية بالناصري الي فتوجهت الى كرسي القضاء يتبعني حرسي وسألت من المتجمهرين بصوت صارم عما يطلبونه فاجابوا قائلين نطلب موت الناصري فقلت لهم واي ذنب اقترفه فأجابوا قائلين انه جدف وتنبأ عن خراب الهيكل وقال انه ابن الله وانه الماسيا ملك اليهودة فقلت لهم أن القانون لم يصدر عقاباً

بالموت على مثل هذه الذنوب . فصاح هؤلاء الجماهير العتاة القساة قائلين — اصلبه اصلبه — وكاد صياح هذه الجماهير الهائجة المائجة ان يزعزع اركان القصر وكان في وسط هـذه الجماهير الـكثيره شخص ساكن هادىء وهذا الشخص هو الناصري . و بعـد ان بذلت جهدي مراراً عديدة لوقايته وحمـايته من مضطهديه القساة المجردين من الشفقة والرحمة لم يجد ذلك نفعاً فاتخذت هذه الطريقة التي ظهرت لي انها الطريقة الوحيدة لانقاذ حياته وهي انني امرت بجلده ثم طلبت طشتاً وغسلت يدي امام الجمهور مشـيراً بذلك الى استهجان عملهم ولـكن لم يأت ذلك بثمرة ولا فائدة فان نفوس اولئك القوم ظمآنة لقتله

وكثيراً ما رأيت في ثوراتنا الداخلية هيجان الجماهير واحقادهم ولـكنها ليست بشيء بالنسبة لما رأيته من اليهود في هذه الحالة حتى يمكن أن يقال انه قد اجتمعت جميع الارواح الجهنمية في أورشليم وكان يلوح لي ان هؤلاء الجماهير غير ماشين على الارض بل محمولين على الامواج المتلاطمة من أبواب محل القضاء لغاية جبل صهيون يعجون و يصيحون و يجأرون و يزأرون مما لم يسمع بمثله في متن (البانونية) أو في ميدان رومية

فأخذ النهار يعتم و يظلم بالتدريج مثل شفق الشتاء وكان مثله

مثل الظلام الذي شوهد عند مــوت يوليوس قيصر العظـيم الذي كان ايضاً في ١٥ مــارس . امــا من جهتي انا والي هذه البلاد العاصية العاتية فكنت متوكئاً على عمود من اعمدة قصري شاخصاً من الظلام المخيف الى زبانية العذاب يجذبون الناصري البريء ليجرعوه غصص المنون . وخلا جميع الجهات التي حولي فان اورشليم تقيأت جميع السا كنين فيها الى بوابة الجنازة التي تؤدي الى (جيمونيكه) وا كتنفتني هيئة الخراب والتحسر وانضم حرسي الى الخيالة وقائد المئة لاظهار ظل القوة باذلين الجهد لحفظ النظام فسرت وحيداً منفرداً . وناجاني فؤآدي بان هذه الامور الحاصلة الآن هي من متعلقات الآلهة وليست من متعلقات انسان وسمع صياح شديد وصراخ عال من الجلجثه محمولاً على الرياح منبئاً بكرب لم يطرق اذن انسان مثله . فنزلت سحب مظلمة معتمه على اجنحة الهيكل واستقرت على المدينة وكأنها سترتها بحجاب وكانت العلامات التي ظهرت في السموات والارض هائلة مخيفة حتى صاح (ديونا سيوس الاريو باغي) [1] قائلاً (اما ان يكون خالق الطبيعة متألم او أن العالم آخذ في التمزق » اه

---

(١) اع ١٧ : ٣٤

وفي الساعة الاولى من الليل خلعت ردائي ونزلت الى المدينة وتوجهت الى بوابة الجلجثه وكان قد قضى الامر وتمت الذبيحة وعادت الجماهير وان كانت هائجة مائجة الا انه كان يلوح على وجوههم الكمد واليأس واشتغال البال . لانه اعتراهم التحسر والفزع مما شاهدوه وكذلك رأيت فرقتي الرومانية مارة وعليها الاكتئاب وغطى رافع اللواء صورة النسر (وهي علامة وشارة الرومانيين التي تصور على اعلامهم) علامة على الحداد والغم وكان بعض العساكر يهمسون بعض الفاظ غريبة لم افهم معناها وكان البعض الآخر يرون عجائب وغرائب تكاد ان تشبه الغرائب التي كثيراً ما اصابت الرومانيين بارادة الآلهـه وكانت تقف أحياناً زمر من الرجال والنساء ساكتين باهتين موجهين أنظارهم الى جبـل الجلجثه منتظرين طرؤ أمر عجيب آخر

فرجعت الى كرسي القضاء كاسف البال كثير التفكر والبلبال ولما طلعت على السـلالم التي كانت لاتزال ملوثة بدم الناصري شاهدت رجلا هرماً في حالة الاستغاثة والتوسل وكان خلفه جمـلة من النساء باكيات فألقى نفسه عند قدميّ وبكى بكاء مراً . ولعمري انه يوجعني و يؤلمني رؤية رجل هرم يبكي فقلت له بلطف يا أبي من أنت وما هي طلبتك فاجاب قائلا — أنا يوسف من

ارماثا وأتيت متعطفاً حضرتكم وأنا جاث على ركبتي ان تأذن لي بدفن يسوع الناصري

فقلت له قد أجبت طلبك وفي الحال أمرت مانليوس ان يأخذ بعض عساكر معه ليلاحظ و يباشر دفنه لئلا يتعرض له أحد

و بعـد أيام قليلة وجد القبر فارغاً وأذاع تلاميـذ يسوع في أطراف البلاد وا كنافها ان يسوع قام من الاموات كما كان تنبأ

فبقي عليّ القيام بهذا الواجب وهو ابلاغ جناب الامبراطور هذه الحوادث المكدرة و بناء عليـه بادرت بتحرير هذا في الليلة التي عقبت هذه المصيبة المفجعة . ولم أنته من تحرير هذا البلاغ الا و بزغ نور النهار وفي هذا الوقت طرق اذني صوت نفير يضرب نعمة (ديانا) فوجهت نظري نحو بوابة قيصر فشاهـدت فرقة من العساكر وسمعت من على بعد أبواقا تضرب سلام القيصر فاتضح لي انها الامداديات التي وعدتني الحكومة الرومانية . سالها و يبلغ عددها نحو ألفي نفر من نخبة العساكر الذين مشوا ، .د. ليل ليتيسر لهم الوصول بسرعة . فصرخت فاركاً يدي: قد قدر [illegible] هذا الأثم العظيم ولا راد للقضاء : ولو وصلت العساكر البارحة لما حصل ما حصل ولـكن هل نقول ان العساكر وصلت اليوم لمنع حدوث فعلة البارحة فتباً لهذا الدهر الغدار الذي يعبث بأحوال البشر ولعمري

لقد صدق ماصرح به الناصري وهو معلق على الصليب — قد اكمل — » انتهى

ثانياً (المكتوب الثاني)(١) وهو صورة الحكم الذي نطق به

---

(١) جاء في جريدة التابليت ما نصه: قد عثر مكاتبنا المشتغل باستقصاء المباحث والتنبيه عنها على صورة صحيحة من الحكم الذي أصدره بيلاطس البنطي بالقضاء على المسيح بالموت وجدها في جريدة الكولينش زيتونغ ولكونها مما تهم كل مسيحي للوقوف عليها لما فيها من عظم الفائدة لتضمنها نص الحكم على المخلص الذى هو أهم حادثة جاءت في متون تواريخ حوادث العالم آثرنا درجها مشفوعة بالملاحظات التي جمعتها جريدة الدرو الفرنساوية وهاك ما قالته الجريدة التليانية تعليقاً علي هذا المكتوب : — ان هذا الحكم منقوش على لوح من النحاس الاصفر باللغة العبرانية وعلى جانبيه هذه الكلمات (قد أرسل لكل سبط لوح مثل هذا)

« اما اكتشاف هذا اللوح فكان في سنة ١٢٨٠ م بمدينة اكويلا من اعمال نابولي أثناء البحث عن الآثارات الرومانية وبقي فيها الى ان وجده المندوبون العلميون الذين رافقوا الجيش الفرنساوي حين انتشبت الحرب في جنوب ايطاليا محفظاً عليها في علبة من الخشب الابنوس في خزانة الامتعة الكنائسية بدير رهبان الكارثوزيان القريب

بيلاطس البنطى والي ولاية الجليل على يسوع الناصري بالموت صلباً.
وهاك نصه حرفا بحرف : —

(في السنة السابعة عشر من حكم الامبراطو رطيبار يوس الموافق لليوم الخامس والعشرين من شهر آذار (مارس) بمدينة اورشليم المقدسة في عهد الحبرين حنان وقيافا — حكم بيلاطس البنطي والي ولاية الجليل الجالس للقضاء في دار ندوة مجمع البروتوريين على يسوع الناصري بالموت صلباً بين لصين بناء على الشهادات الكثيرة البينة المقدمة من الشعب المثبتة ان يسوع الناصري (أولا) مضل يسوق الناس الى الضلال (ثانياً) انه يغري الناس على الشغب والهياج (ثالثاً) لانه عدو للناموس (رابعاً) لانه يدعو نفسه ابن

من نابولي ثم نقل هذا الاثر الجليل الى كنيسة كازيرنا وبقي فيها الى ان تصرح لرهبان دير الكارثوزيان بناء على طلبهم بحفظه عندهم جزاء لهم على الضحايا التي بذلوها للجيش الفرنساوي في ايطاليا . وكانت ترجمته الى اللغة الفرنساوية حرفاً بحرف بمعرفة اعضاء اللجنة العلمية وتحصل زينون على رسم هذا اللوح المذكور بألفين وثمانمائة وتسعين فرنكا ومن مطابقة الاسباب الواردة في هذا الحكم لما هو وارد في الانجيل يستدل على عدم وجود شبهة تاريخية تنفي صحة هذا اللوح» اه

الله (خامساً) لانه يدعو نفسه كذباً ملك اسرائيل (سادساً) لانه دخل الهيكل ومعه جم غفير من الناس حاملين سعف النخل

(فلهذا يأمر بيلاطس البنطي كونيتوس كرنيليوس قائد المئة الاولى أن يأتي بيسوع المسيح الى المحل المعد لقتله وعليه أيضاً ان يمنع كل تعدي لتنفيذ هـذا الحكم فقيراً كان أو غنياً وهاك أسماء الشهود الذين وقعوا على تنفيذ هذا الحكم على يسوع المسيح . أولا دانيال روباني فريسي . ثانيا . يوحنا زوربابل . ثالثا . روفائيل روباني . رابعا . كابيت . وان يأتي به الى خارج مدينة أورشليم من باب الطورني) اه

(تذييل) وجد تعليق على حكم بيلاطس على يسوع وهو صورة ماقاله الذين تشاوروا على السيد المسيح في مجلس الشورى وهاك أسماء الشهود بما فيهم بيلاطس البنطي وقيافا رئيس الكهنه : —

أولاً — سمعان الابرص قال . من هو هـذا العاصي الذى يستحق الموت على حسب الشريعة ؟

ثانياً — يورام قال . لماذا نحكم بالموت على هذا البار ؟

ثالثاً — سارياس قال . انزعوا منه الحياة انزعوه من الدنيا

رابعاً — ديار ابياس قال • حيث انه هيج الشعب فيستحق الموت •

خامساً — تيراس قال . فليطرح في هاوية الشقاء

سادساً — ابتوليه قول . لماذا كل هذه المدة المستطيلة لم نحكم عليه بالموت ؟

سابعاً — يوشافاط قال . اتركوه في السجن مؤبداً

ثامناً — سابتى قال . ان كان باراً او لم يكن فمستحق كأس الموت حيث انه لم يحفظ شريعة ابائنا

تاسعاً — بيلاطس قال . اني برىء من دم هذا البار [1]

عاشراً — ساميشيل قال . فانقاصه حتى في المستقبل لايكرز ضدنا

حادي عشر — اشياس قال . لايجب الحكم أبداً على أحد بالموت مالم نسمع أقواله

ثاني عشر — نيقوديموس قال . ان شريعتنا لاتصرح بالحكم على احد مالم تؤخذ أولا أقواله واخباره بما فعل [2]

ثالث عشر — بوطيفار قال . حيث ان هـذا الانسان بصفة خداع فايطرد من المدينة

رابع عشر — روسموفين قال . مافائدة الشريعة ان لم تحفظ ؟

خامس عشر — اهيارين قال . ان كان باراً اولم يكن حيث انه هيج الشعب بكرازته فمستحق العقاب الشديد

---

(١) مت ٢٧ : ٢٤ (٢) يو ٣ : ١و٢ و٨ : ٥٠و ٥١

سادس عشر — ريفار قال . اجعلوه اولاً يعترف بذنبه ومن ثم عاقبوه

سابع عشر — يوسف الاراماني قال . ان لم يكن احد يدافع عن هذا البار فعار علينا

ثامن عشر — سوباط قال . الشرائع لا تحكم على أحد بالموت بدون سبب أكيد

تاسع عشر — ميزا قال . ان كان باراً فلنسمع منه وان كان مجرماً فلنطرده

عشرون — رحبعام قال . نحن لنا شريعة وبحسبها يجب ان يموت

حادي وعشرون — قيافا رئيس الكهنة لليهود قد انبأ قائلاً — لا تسمعوا منه شيئاً ولا تعتبروه والاجدر لكم ان يموت انسان واحد من الشعب من ان تهلك الامة بأسرها . (انتهى)

ثالثاً (المكتوب الثالث) هو صورة خطاب منسوب الى بوبليوس لنتولس يقال انه كان معاصراً لبيلاطس وانه كتب الى السناتس الروماني ما نصه : —[1]

« ايها الملك بما انني فهمت انك ترغب معرفة ما أخبرك به الآن لكون في وقتنا هذا وجد رجل عائشاً عيشة فاضلة

---

(١) الكتاب المذكور وجد في خزانة الامير شراويني من ايطاليا . اه

يدعونه رسول الفضيلة وتلاميذه يقولون انه ابن الله خالق السماء والأرض وكل ما يوجد فيهما . بالحقيقة ان كل يوم نسمع امـوراً عجيبة عن يسوع هذا فيقيم الموتى و يشفي السقماء بـكلمة واحـدة وهو معتدل القامة وجميل المنظر جداً ووجهه ذو هيبة هكذا حتى ان الذين ينظرون اليه يشعرون بالغرام لان يحبوه و يخافوه وشعـر رأسه نازل لحد اذنيه منسدل على كتفيه وهو بلون التراب انما يذوق عليه ضيـاء وفي وسط جبينه غرة كعادة الناصريين . اما جبينـه فمبسوط كثير الصفاوة ووجهه ليس فيه تجعد وعلامة البتة . وفخذاه بغاية الاعتدال . وانفه وفمـه لا يعبر ان يحسن في احد ومنـظره يفيض خشوعاً وفرحاً وعيناه كاشعة الشمس ولا احد يقدر ان يحدق بنظره اليه من كثرة الضياء . واذا و بخ ارهب واذا انصح ابكى ويجعـل الجميع يحبونه لانه ذو سماحة وهيبة . و يقولون انه لم ينظر ضاحكاً فقط با كياً . وذراعاه و يداه زائدة الجمال . امابالاجتماعات فيرضي كثيرين ولـكن ينظر اليهم نادراً وعند وجوده بينهم يجلس بغاية التهذيب ففي رؤيته وشكله هو اجمل انسان يمكن تخيله ومشابه بمقدار عظيم لأمه التي هي اجمل فتاة يمكن مشاهدتها او تشاهد قط بهذه الجهات

فيا ايها الملك ان رغب جلالتكم ان تراه فاخبرني لـكي لا

اتقاعد عن ارسالهاليك سريعاً . لكنه بالعلوم قد اذهل مدينة اورشليم باجمعها فيعرف كافة العلوم من غير ان يتعلم . وتارة يمشي حافي الاقدام مكشوف الرأس كمجنون وكثيرون عند نظرهم اليه يضحكون منه اما في حضوره او التكلم معه فانه يرهب ويذهل ويقولون انه لم يسمع قط عن رجل هكذا في الجهات وبالحقيقة مثل ما يقول لي اليهود انهم لم يسمعوا قط مشورات حكمة من احد كمثل ما يعلم يسوع هكذا وكثيرون آخرون يتهمون ويشتكون لي منه قائلين انه مضادشريعة عظمتكم وتراني معنفاً جداً من هؤلاء اليهود الاشرار ويقولون انه ما اغاظ احداً قط بل كافةالذين عوفوه واخبروني عنه يقولون انه حاصل لهم منه انعامات وصحة كثيرة وفي كل الامور انني مستعد لطاعتك ومن ثم كل ما تأمر به جلالتكم يجرى عاجلاً » انتهى

(٤) شهادة يوسيفوس [١] المؤرخ اليهودي الشهير الذي كان معاصراً للرسل وقد شاهد سقوط اورشليم في حصارها الاخير كما انبأ السيد المسيح . فهذا كتب في تاريخه المعروف كلمة عن السيد المسيح خالية من شوائب الاغراض والغايات قال : —

---

(١) راجع كتاب « النور الباهر في الدليل الى الكتاب الطاهر » للمؤلف ص ٢٨ و ٢٩ . اه

« وكان ايضاً في هذا الوقت رجل حكيم اسمه يسوع ان كان جائزاً ان يدعى انسـاناً وكان صانعاً عجائب كثيرة ومعلماً للذين ارادوا ان يتعلموا الحق وكان له تلاميذ كثيرون من اليهود والامم هو المسيح الذي اشتكى عليه رؤساؤنا واكابر امتنا وسلمه بيلاطس البنطي للصلب ومع هذا كـله فالذين اتبعوه من البداءة لم يتركوه قط وقد نظر اليه حياً بعد صلبه بثلاثة ايام كما كان قد تنبأ بعض الانبيـاء وصنـع معجزات أخرى كثيرة ولم يزل الى يومنا هذا بعض الناس يدعون مسيحيين الذين يعترفون به رئيساً لهم » اه

فيتضح مما تقدم ان كثيرين من معاصري السيد المسيح (حتى من اعدائه) قد شهدوا له وأقروا بالوهيه و بعظمة اعماله واعترفوا بانه اعظم من انسان وهم بيلاطس والي اليهوديه ويورام وامتياس ونيقوديموس و يوسف الرامي وســو باط من رؤساء وكهنة اليهود و بو بليوس لنتواس احد ولاة الرمان و يوسيفوس المؤرخ اليهودي المشهور وشهادة هؤلاء تعد معتبرة للغاية لانهم (١) من اكابر الامم اوانئذ (٢) لانهم كانوا معاصرين له (٣) لان منهم كثيرين كانوا يبغضونه ولـكنهم اعـترفوا رغماً عنهم بصلاحيته و برارته

الفصل الثالث

شهادة العظماء للمسيح بعد ظهوره

« الاعمال التى أنا اعملها باسم أبي هي تشهد لي » (يو ١٠ : ٢٦)

صعد السيد المسيح الى سمائه وترك على الارض آثار سلوكه المقدسة وتعاليمه الصالحة فاحدثت انقلاباً عظيما في العالم في الآداب والعادات حتى انتقل العالم من حالة ماؤها الشر والفساد الى حالة كلها قداسة وبر

ومع أن رئيس المسيحية مات كأحقر الناس غير ان دينه امتد وانتشر فى كافة اصقاع المسكونة

هذا ما كان مدعاة لدهشة كثيرين من عظماء هذا العالم فرأوا انفسهم وحولهم الامم تشددهم والقوات تعززهم غير قادرين على مجاراة ذلك الناصرى البسيط ومع انه كان مجرداً من كل سلطة وخلوا من كل سلاح وهم ممدودون بالقوات المختلفة غير ان الفرق عظيم بينه و بينهم وان مراكزهم تلقاء مركزه ليست الا كنقطة من بحر لذلك اعترفوا رغماً عنهم واقروا وهم يصرون على أسنانهم بعظمة ذلك البار الذي انار العالم بشمس تعاليمه وأسر القلوب بسلاسل محبته . وها نحن ذاكرون للقراء بعض اقوال اشهر العظماء

في هذا الصدد

(١) شهادة نابوليون [١] لما كان نابوليون امبراطور فرنسا العظيم فى النفي فى جزيرة القديسة هلانة سأل صديقه مونتولون عمن هو المسيح ؟ فلم يستطع ان يجبه . وكان الامبراطور يكثر في منفاه من الكلام على الامور الدينية وفي ذات يوم تكلم عن لاهوت المسيح فقال له الجنرال برتران الذي كان غير مؤمن وكان يكدر نابوليون بالاستخفاف بالامور الدينية : —

« مولاي . انني لا أدرك كيف ان رجلا عظيما مثلك يؤمن بان الخالق الاعظم اظهر نفسه للبشر فى جسد انسان وله جسم وفم وعينان فليكن المسيح مهما شئت . اي قل انه أحذق الناس وقلبه اطهر القلوب ومبدع أشهر واصفى الشرائع وأعظم رجل خلق على الارض من كل جهة فلا أعارض . ولكنه لم يكن غير بشر علم تلاميذه وأضل البسطاء . كما فعل اورفوس وكونفوشيوس و برهما [٢] .وقد جعل نفسه معبودا لان سلفاءه اليسيس وأوزيريس [٣] وجوبتير [٤] جعلوا انفسهم بكبرياء معبودات . وامتيازه في ازمانه كامتياز المعبودات الوثنية وابطال القدماء . وما فعله من جر

---

(١)عن كتاب « تاريخ فرنسا الحديث »(٢) آلهة الصينيين والهنود (٣)من آلهة المصريين (٤) معبود الرومان

الناس وراءه وتغير حالة الدنيا انما هو ناشيء عن قوة العقل وتأثير نفس قادره على التسلط كما تسلط كثيرون في الدنيا بفتوحاتهم كالاسكندروقيصر ومثلك أنت » اه

فاجاب نابوليون في الحال على هذا الكلام قائلا : — « انني اعرف الرجال فأقول لك ان يسوع المسيح ليس برجل . فاصحاب العقول الغير قادرة على ادراك كنه الحقيقة يرون مشابهة بينه وبين مؤسسى الممالك ومعبودات القدماء . والواقع انه لا وجود لتلك المشابهة . والبون بين النصرانية وبقية الاديان غير محدود . فاننا نقدر ان نقول لجميع واضعيها انكم لستم بمعبودات ولا وكلاء الاله بل انتم رسل الاكاذيب وأنتم كسائر البشر . وقد خلقتم مصحوبين بالشهوات والرزائل التى تصاحب سائر البشر وهيا كلكم وكهنتكم تدل على اصلكم . وهذا مايقوله كل انسان فحص بخلو غرض حالة معبودات الوثنيين وهيا كلهم . وحكماء اليونان لم يقبلوا البتة للدين الوثني كدين حقيقي ومنهم سقراط وفيثاغورس وافلاطون وانكسارغوس وبركلس . على ان احكم الناس بعد انتشار النصرانية آمنوا بصحة تعاليمها فان بوسوي وفنيلون آمنا بها ولم يقتصر الايمان بها عليهما حال كونهما واعظين ولكنه اتصل الى ديكارت وينوش وبنتز وبسكال وكورين وراسين وشرلمان ولويس الرابع عشر . اما

لوثنية فصفة الانسان ولا نسمع منها ونقـراء عنها الا مايدل على غباوتنا وجهلنا

« فماذا تعرف تلك المعبودات المفتخرة اكثر من الانسان ؟ وماذا يعرف واضعوها تلك السنن الرومانية واليونانيه ونوماولوكرغس وكهنة الهند وممفن وكونفوشيوس وغيرهم ؟ انهم لايعرفون شيئاً بل أضاعوا الاداب ولم يبن احدهم من جهتنا شيئاً . من جهة حالتنا في الاستقبال . والنفس . وجوهر الخالق . والخليقـة . واذا دخلت هيا كل الوثنية لاترى غير ألوف من المنـاقضات وحروب اشعلت نارها بين المعبودات وتفريق الوحدة الالهية وسفسطة الجهل والاجحاف بالصفات الالهيـة او انـكارهـا والرجس والفساد في المستظلات الـكثيفة مع الاخشاب المنحوته وهي الصنم وكاهنه . فهل يتمجد الله بذلك او يغضب او هل تقيم المقابلة بين هذه الاديان والمعبودات والنصرانية ؟ اما انا فلا اقابلها بل اجلب كل معبودات الوثنيين الى محكمة وأحاكمها . غير انني أبعد من أن أذل نفسى بعبادة اصنامها فليس عندها ولا عند واضعي ناموس الهنـد والصين وروميه مايلقي الخشية في قلبي

« ولست اعاملهم بالظلم وانا اعتبرهم الاعتبار اللائق بهم لانني اعلم اهميتهم وارى في لوكارغس ونوما وغيرهما واضعي سنن كا فن لهم

المركز الاول فوضعوا اوفق نظام يمكن وضعه للهيئـة الاجتماعية في وقتهم . على انني لا ارى في أعمالهم مايدل على ان الله قد ألهمهم الصواب أو أمرهم بفعلها .فهم لم يدعوا ذلك. وقدقاموا باعمال عالية في ايامهم مثلي. غير انه مامن شيء يدل على ان أعمالهم تجري من ينبوع الهي و بيني و بينهم مشابهة عظيمة وقدارتـكبوا اغلاطاتجعلهم مثلي من العائلة البشرية

« اما المسيح فلم يكن كذلك وكل شيء فيـه يقضي بالعجب العجاب . فروحه تلقي الخوف في قلبي وثبات ارادته تضيع تمييزي ولا يقابل بأحد من البشر ولاتوضحه النظامات البشرية ولا طبيعة الانسان وآرائه وحاسياته والحقائق التى اعلنها ولا كيفية امتناعه . فاذا تأملت في ولادته وتاريخ حياته وعمق حكمته التي تتغلب على أعظم الصعوبات وتحلها أوفق حـل . وانجيـله وظهوره ومملـكته الروحية وتغلب تعاليمـه على الدهور والامم أقول ان هـذه أسرار لا أقدر ان أقف على حقيقتها فانها تجعلني في حـيرة لا أستطيع التخلص منها فهي سر لاأقدر انكره ولا ان اوضحـه . ولا أرى بذلك شيئا بشرياً . وكلما اقتربت منـه وأطلت البحث عنه يزداد ارتفاع هذه الامور عني وتبقى عظيمة وعظمتها عاليـة ودينه التام حذق لاريب في انه غـير بشري . فترى فيـه شيئا اساسياً عميقاً

جاء بتعاليم وكلام لم تكن معلومة

« ولم يستعر يسوع شيئاً من معارفنا وعلومنا . ولا نرى فيها مايشابه تصرفه وحياته . ولم يكن فيلسوفاً لانه تقدم بالمعجزات . وتلاميذه عبدوه منذ البداية وألقى الايمان ه في قلوبهم بما يؤثر فيها وليس بالتظاهر بما يؤيده أو يقنعهم. ولم يلزمهم ان يقوموا لدروس ابتدائية ولا أن يتعلموا العلوم. فديانته كلها مبنية على الايمان

« والواقع ان العلوم الفلسفية لاتجدي ان نفعا للخلاص ولهذا جاء السيد المسيح الى الارض لاظهار أسرار أسما الروح ونواميسها . ولم يكن لتعاليمه علاقة الا بالروح . وقد جاءها بانجيله والروح تكفيه كما انها تكفيه ولم تكن للروح أهميـة قبله فان السيادة في الدنيا كانت للمادة والزمان . وقد رجع كل شيء الى النظام بصوته وصار المحل الثاني للعلم والفلسفة . وقد فازت الروح بالحصول على سيادتها وسقط كل العلم كبناء تهدم امام كلمة واحدة وهي الايمان . فما أعظم السيد الذي يقدر ان يأتي بانقلاب عظيم كهذا وما انفذ كلمته . فما هو ياترى السلطان الذي ألزمني ان أصلي له وقد ألزم الناس الايمان به . ولم يتمكن انسان ان ينقض كلامه أولا . لان في الانجيل اصفى الاداب ولان التعاليم الموضوعه فيه كاسرار انما هي اعلان الحق المتعلق بما هو موجود حيث لاتقدر العين ان ترى ولا العقل ان

يدرك . فمن ياترى هو الخالي من الاحساس الذي يكذب اخبار السائح الجسور الذى لم يتجاسر غيره الصعود الى القمم الثلجية ويخبر بعجائبها

« فالمسيح هو السائح الجسور والانسان يقدر ان يبقى خاليا من الايمان غير انه مامن أحد يتجرأ أن يقول لهذا ليس هو كذلك وفضلا عما تقدم شاور الفلاسفة عن هذه التعاليم السرية المتعلقة بالانسان والدين فماذا يقولون ؟ واين هو العاقل الذي تعلم شيئاً من الطبيعة القديمة أو الحديثة حال كونها ليست الا اراء باطلة لا علاقة لها بمعيشتنا واميالنا

« ولا ريب في ان الانسان يرى بقوة الفكر مفتاح فلسفة سقراط وأفلاطون . على انه لايدرك ذلك مالم يكن طبيعياً وبعد طول الدرس سنين عديدة . على ان ادراك المسيحية يتم بالقلب والايمان . لانها ليست باوهام ولا هي تعاليم طبيعي ولكنها قوانين [illegible] نسان وتعاونه على جميع [illegible] في الكتاب المقدس اخبار وقائع ورجال تاريخيين توضح لهم احوال الزمان والابدية.وليس في كتاب دين آخر مايماثل ذلك

«فاذا كان الدين الحقيقي يعذر الانسان اذا خدع به ولا يلزم فان كل شيء فيه عظيم يستحق أن ينسب الى الله تعالى . وقد

فتشت التواريخ دون أن أجد فيها شبيهاً ليسوع المسيح والانجيل . فلا أرى في التاريخ ولا الانسانية ولا العصور ولا الطبيعة شيئاً اقدر اقابله او ان افسره به فان كل شيء فيه خارق العادة . وكلما تأملت في الانجيل يزيد تأكيدي ان كل شيء فيه يفوق الحوادث والعقل البشري . والذين خلت قلوبهم من التقوى لم يتجاسروا ان ينكروا علو الانجيل الذي يوجد فيهم اعتباراً اجبارياً

« وما اعظم السعادة التي يحصل عليها الذين يعتقدون بصحته وما اكبر العجائب المسطورة فيه . فهو كتاب مفرد يجد العقل فيه جمالا ادبيا لم يكن معروفاً . ومعرفته بالخالق تدل الخليقة عليها فمن ياترى غير الله تعالى يقدر ان يأتى بمثل ذلك بكمال اصلى خالص ؟

« ولم يكن للمسيح غير تلاميذ قليلين فحكم عليه بالقتل فمات بغضب الكهنة واحتقار الامة . حتى ان تلاميذه تركوه وانكروه وقال انهم يأخذوني قريبا و يصلبوني واترك العالم . وأهم تلاميذي ينكرني في بداية قصاصي فأترك للاشرار . و بعد ذلك يحصل العدل الالهى على كفايته وتمحى الآثام الاصلية بآلامي و يرجع اتصال الانسان بالله و يكون موتي حياة تلاميذي و يصبحون دوني اقوى مما هم وانا معهم لانهم يشاهدونني مرتفعا ثانية وسأصعد الى

السماء وأرسل اليهم من السماء روحاً يعلمهم وروح الصليب يساعدهم على فهم انجيلي فيعتقدوا به و يعظوا به و يجلبوا العالم الى الايمان « فهذا الوعد الغريب الذي سماه بولس « حماقة الصليب » هو نبوة رجل صلب بتعاسة تم حرفياً وكيفية اتمامه ربما كانت اوسع دائرة من الوعد نفسه ولم يفصل ذلك في يوم ولا في معركة . فهل هذه حياة رجل ؟ الجواب . لانها حرب استمرت ٣٠٠ سنة بدأ الرسل بها وقام بها بعدهم خلفاؤهم واجيال نصرانية متتابعة وفي هذه الحرب اصطف جميع الملوك وكل قوات العالم في جهة . ولا ارى جيشاً في الجهة المقابلة ولكني بالعكس ارى جهادا سرياً وافراداً متفرقين في جميع اقطار الدنيا وليس لهم عصبية غير وحدة الايمان بأسرار الصليب . فما اعظم سر جعل الانسان الالهي آلة لوقوع القصاص عليها . وتسلح تلاميذه بها وقالوا قد مات الهنا لخلاص العالم . فهذه كلمات بسيطة غير انها اهاجت عواطف الاجتهاد حول راية آلام الرجل الالهي ونرى من جهة غضباً شديدا وجميع مهيجات البغض والتعدي والانتقام . وفي الجهة الاخرى اللطف والشجاعة الادبية والتسليم غير المحدود . واستمرت الروح تنازل وحشية الاحساس ٣٠٠ سنه والضمير يحارب الظلم والروح الجسد والفضيلة الفساد . وجرى دم المسيحيين انهاراً وكانوا يموتون وهم يقبلون اليد

التي كانت تقتلهم مكتفين بالحجة التي كانت الروح تقيمها حال كون الجسد كان يسلم نفسه الى جميع العذاب وكانوا يقتلون في كل مكان ومع ذلك فكان لهم الفوز في كل مكان

«وقد ذكرت قيصر والاسكندر وفتوحاتهما والحمية التى كان يضرمانها في قلوب عساكرهما. ولكن هل تصدق ان رجلاً ميتاً يقدر ان يقوم بفتوحات بواسطة جيش صادق وقف نفسه على سبيل خدمة ذكره؟ وها جيوشي قد نسيتني مع انني لا أزال في قيد الحياة. فهذه هي قوتنا والانقلاب في معركة واحدة كاف لسحقنا والضيقات تبدد شمل اصدقائنا. فهل تصدق ان قيصر امبراطور مجلس اعيان روميه الذي لا يموت ذكره يقدر وهو في اعماق قبره ان يسوس امبراطوريته ويحرس روميه؟ فهذا هو تاريخ تغلب المسيحية على الارض وفتوحاتها فيها. وهذه هي قوة أله المسيحيين وهذه هي المعجزة الدائمة التي جاءت بتقديم الايمان وادارة الكنيسة فالامم تنقرض والعروش تثل على ان الكنيسة باقيـة.

« فما هي القوة التى صانت هذه الكنيسة التى لاقت صدمات الغضب الشديدة وعدوان قرون عديدة فاين الجيش الذي حمى الكنيسة مدة ١٨٠٠ سنة من عواصف التعديات والاضطهادات المرة

التي تهددتها بالتدمير ؟ وكم من نقصان ترى في حياة الجميع خلا حياة المسيح. فأي رجل لم تخضعه المواقع وأي رجل لم تكن الحوادث والامكنة ضابطا لاعماله ؟ اما هو فلم يخضع لسطوة الازمنة ولا جارى عادة وميلا . فانه لم يتغير من اليوم الاول من حياته الى آخر أيامه بل كان على الدوام جليلا بسيطا ثابتاً لطيفاً جداً ،

« وينبغي ان تمتلىء الدنيا بالحق . فالنصرانية هي الدين الفريد الذي يهدم اركان التعصبات الدينية ويعلن ان الجنس البشري واحد وبعضه أخوة البعض الآخر . وقد تفرد بمراعاة الروحيات فقط وبتعيين الاحضان الالهية في السماء ميعاداً للجميع دون امتياز وقد برهن المسيح انه ابن الله الازلي بعدم اهتمامه بالوقت . فان تعاليمه كلها تتعلق بأمر واحد وهو الابدية . ومن المحقق ان المسيح جعل في ايماننا أسراراً كثيرة فانه يأمر كذى سلطان . يأمرنا بان نؤمن بها دون ان يبين شيئا غير واحد وهو كلام مخيف وصريح قائلا (انا هو الله) وقد صرح بذلك وجعل بينه وبين واضعي الاديان بوناً عظيما فاذا كان غير صحيح فيكون قحة وكفراً شنيعاً . واقول ان فوز ادعاء كهذا اذا كان غير صحيح يكون عذراً للذين ينكرون الله

«على اننا قد رأينا ان تعاليم المسيح المحفوفة بالاسرار مشابهة

للطبيعة لانها ذات أسرار عظيمة . فان الانسان يقول فى نفسه من أين أتيت ياترى والى أين أذهب ومن أنا ؟ فالحياة البشرية أصلها سر في نظامها ونهايتها ففي الطبيعة كل شيء متعلق بالانسان و بغيره سر لايدرك فهل يمكن ان يكون الدين غير سري ؟ فالخليقة والدنيا سر لاقرار له وكذلك الخليقة ونصيب كل فرد. فالمسيحية لا تصرف النظر عن هذه المسائل المهمة جداً ولكنها تلاقيها بشجاعة وتعاليمها تحلها عند كل مؤمن

« وفي الانجيل فضيلة سرية واقتدار سري وتأثيرهما يدخل القلب و يعزيه . والانسان يشعر بالتأمل به بما يشعر به عند التأمل فى السموات فالانجيل ليس ككتاب بل هو كائن حي ذو شجاعة وقوى تمكنه من التكلم على كل مايحول دون امتداده (فانظره على هذه المائدة وتراه يفوق كل الكتب) ووضع الامبراطور يده عليه بكل اعتبار = وكل يوم أقرأه وكلما قرأته التذبه . ولا أرى في غيره آراء حسنة كالتي فيه ولا تعاليم أدبيــة خارقة العادة تنتشر كجيش سماوي منتشر وتؤثر فينا كتأثير السماء عند التعزي فى ليلة صيف ذات نجوم صافية فتشغل افكارنا وتغبط أعمالنا . والنفس لاتضل مادام هذا الكتاب دليلها . واذا تسلط الانجيل الامين على نفوسنا يصير المسيح محباً لنا و يصبح الله صديقنا ووالدنا و بالحقيقة الهنا .

فالام لاتعتني أكثر منه برضيعها

« وما أعظم الدليل الذي نستدل به على ألوهية المسيح فأنه أسس سلطة دينية عظيمة مطلقة ومع ذلك لم تكن له الاغاية واحدة وهي تحسين حالة الافراد الروحية وطهارة الضمير وقداسة النفس . وقد تكلم فصارت الامم في كل الاجيال له بروابط امتن من روابط آدم وهي أقدس الرباطات وأبعدها عن الانحلال . فانه يضرم لهب حب يحرق به حب الذات ليقيم مقامه المحبة الطاهرة لجميع الناس سواء اصدقاء او اعداء . ولا ريب ان اعظم معجزات المسيح هي غلبته على حب الذات وجعله السيادة للمحبة الطاهرة العامة

أما انا فقد ألقيت في قلوب الجماهير حمية جعلتهم يرفضون بان يبذلوا حياتهم في سبيل خدمتي . وحاشا لي ان اقابل حمية الجندي بالمحبة المسيحية فانهما متباينان بالذات والعلة . على ان وجودي كان لازماً لالقاء الحمية في قلوب العساكر بمشاهدتهم نور عيني واستماعهم صوتي وكلمة مهيجة من فمي . هذه هي الوسائل التي كانت تضرم نيران الغيرة في قلوبهم .وأنا حاصل فعلا على تلك القوة السرية التي تشبه قوة السحر وهي التي ترفع النفس . غير اني لم اكن قادراً ان اجعلها متصلة بالآخرين ولم يقتبسها عنى احد قوادي ولا قدرة لي على تخليد اسمى وحبي في القلوب دون الوسائل

الطبيعية . فقد صرت الآن في المنفى منفرداً مقيداً وليس من يحارب عني او يفتح البلاد باسمي وليس لي من يخدمني في ضيقي او يذكرني او يحترمني في بلادي وقد تركني كل اصدقائي الا ثلاثة قد خلدت الامانة والصداقة اسماءهم وانتم قد شاركتموني في النفي والضيق وفيكم تعزيتي

« حياتي لقد لمعت مرة بعظمة التاج والعرش ثم انطفأ هذا النور اللامع كما تنكسر اشعة الشمس على قصر الانفاليد المعلقة بالقرب منا . على ان المصائب قد دهمتنا واخذ لمعاننا يزول وسوء الحظ الذي وقعت فيه مع الاهانات التي تلحق بي كل يوم جعلت ذلك اللمعان ظلاماً حالكاً . فصرنا رصاصاً بعد ان كنا ذهباً وحجارة كريمة وبعد برهة ابيت في القبر . هذا هو نصيب الرجال العظماء وهكذا كان نصيب اسكندر وقيصر وكذلك انا . وقد يتنا جميعنا في زوايا النسيان . ويصبح اسم الفاتح الامبراطور من المواضيع التى تشتغل الطلبة فيها بالمدارس وتكون اعمالنا مواضيع يجعلها الاساتذة وسيلة لتعليم تلامذتهم فيشغلون انفسهم بمدحنا او بالتنديد بنا . تأمل بما يطرأ علي . انني اموت قبل اواني الطبيعي فهذا هو نصيب الرجل المعروف بنابوليون العظيم

« فما اعظم الفرق بين شقائي العظيم وملك المسيح الابدي

الذي لا يزال اسمه معلناً ومحبوباً ومعظماً . وهو ملكٌ لا يزال منتشراً في جهات العالم الاربع . أهذا هو الموت ؟ أليس هو الحياة؟ فموت المسيح هـو بلا ريب موت معبود . فاذا كنت بعد هذا لا تدرك ان المسيح اله اكون قد اخطات حين جعلتك قائداً من قواد جيشي » انتهى

(٢) شهادة روسو [1] فاه بها عندما تأثر من قراءة الاسفار الالهية وشعر بهيبتها وسطوتها على القلوب . قال — انى مقر بان جلال الاسفار الالهيه يشحذ عقلى وقداسة الانجيل تناجي قلبي ولها فيه وقع شديد . الا فتصفح كتب الفلاسفة وما فيها من الفخامة والبداعة . فاين هي من الانجيل فانها ادون منه مكانة ومنزلة . فهل يتأتى لبشر ان يجيء بكتاب من مثله تسمو به فخامة المعاني وتوطئة سذاجة الكلام والمباني . أبشر من جيء فيه بترجمة سيرته ام فوقَ البشر . ام هل اسلوب الكلام المودع فيه اسلوب مبتدع خبيث طماع • كلا فالله صاحبه . ما الطف آدابه واطهرها ولله كلامه ما اسلسله واشد وقعة في القلوب ما اسنى حكمه وماابلغ

---

(١) جان جاك روسو كافر مشهور فرنسي من ارباب الاقلام في القرن السابع عشر قال عنه نابليون «انا كبرمؤثر للثورة الافرنسية كتابات روسو » اه

حكمة كلامه ! ما احضر فكرته وذاكرته وما ادق اجوبته وانسبها للمقام !!

«هذا وناهيك عن تلك النفس الابيه ما املكها للشهوات وابعدها عن الشبهات . فاي الناس بل اي الحكماء عمل وتجشم المشاق وتحملها وذاق غصص المنون من دون ان يرى من نفسه الضعف او يستفزه التيه والعجب . ان افلاطون تصور باراً ومثله لنا رجلا أوقرته اوزار الاثم وهو اهل بكل مكافئة الفضيلة وجزائها فاذاً هو يمثل لنا بذاك حرفاً بحرف يسوع المسيح فان بين المسيح و بار افلاطون شبهاً كبيراً حتى اقرّ واعترف به كل الآباء واستحال الانخداع في شأنه فما اعظم اوهام من شبه ابن سفرونسك بابن مريم وما احمقه بل ما اقبح سريرته فشتان ما بينهما

« مات سقراط ولم يمسه عند احتضاره كبير أذى ولا لحقت به اهانة . سهل عليه ان يحفظ نفسه و يبقى على فطرته الخلقية ولو لم تسعد حياته بالانقضاء بمثل تلك الميته لوجدنا سبيلا الى الشك في ان سقراط ولو كان ذا ذكاء رائع الا انه لم يكن الا سفسطياً . قيل ان سقراط ابدع علم الادب . وقوم من قبله قد انجزوه فعلاً وعملوا به فكان جل ما عمل انه روى ما مضوا عليه وعلم بأقواله ما اسوا به الناس باعمالهم . لقد برّ اريستديس فعالا من قبل ان يولد سقراط و بين

ما البر ؟ وفدى لا و ينداس وطنه بنفسه من قبل ان يقول سقراط ان حب الوطن ضرب من اللازم . واكتسى اهل اسبرتا ثوب العفاف والقناعة من قبل ان يثني عليهما سقراط . وقد غصت بلاد اغريقية بآثام فضلاء من قبل ان يقول سقراط ماهي الفضيلة

« اما يسوع فقل ناشدتك الله . عمن اخذ من قومه مبادىء تلك الآداب الجليلة النزيهة التي علمنا اياها باقواله وجعلها بافعاله مثالا نقتدي به ؟ فان حكمه سامية رائعة قد اشرقت انوارها من خلال ظلمات التعصب المدلهمة . وكأن الفضائل الحسنى الجليلة صبت الى اذل الشعوب مكانة وحطت عنده عصاء الترحال . فموت سقراط مطمئناً بين صحبه وهو يفاوضهم كان أهنأ مايتمنى المرء من الميتات . أما موت المسيح بين اوجاع تتنازعه وشتائم تتناوبه وهزء تطارده جيوشه ولعنات يرشقه باسهمها قوم طغاة فكان شر مايعاف الانام من ضروب الحمام

« ولما تناول سقراط كأس السم الزعاف شكر على من قدمها اليه وهو يبكي . و بينا كان يسوع واقفاً تحت عذاب شديد حاد كان يصلي لاجل اعدى قاتليه فلعمر الحق لئن كانت حياة سقراط وموته حياة عاقل وموت حكيم فحياة يسوع حياة الله وموته موت اله » اه

(٣) شهادات طائفة من العظماء : قال فورفريون الفيلسوف

الوثني : « كان يسوع رجلا تقياً صعد الى السماء لانه كان محبوباً عند الآلهة » اه

وقال ستروس العالم المشهور (وهو من منكري الوحي) : « كما يصغر شأن الانسانية بلا دين كذلك يقل قدر الدين بدون المسيح فهو الباقي الى الابد عنوان الدين الاسمى ونموذج الكمال المطلق. ولا سبيل للحصول على التقوى الحقة بدون حضوره في القلب » اه

وقال رينان العالم الفرنساوي : «استرح الآن في مجدك أيها المؤسس الشريف فقد انتهى عملك وتأيد لاهوتك وليس بينك وبين الله فرق » اه وقال ايضا : « ان لم يكن المسيح الهاً فوجب ان يكون الهاً عند الصليب لاجل صفحه لاعدائه الالداء » اه

وقال تولستوي الفيلسوف الروسي : « ان المسيح برهن على الوهيته بسلوكه اكثر مما بتعاليمه ومن ذلك انه قهر الشيطان وزجه في اعماق الجحيم بقوله الاخير على الصليب « يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ما يصنعون » اه

قال الفيلسوف ستورت مل : « لو امكن للانتقاد العقلي ان يجردنا من كل حقيقة فلا يمكنه ان ينزع منا حقيقة المسيح فهو الصورة المفردة التي تبقى عديمة التغير » اه

قال بينوزا : « كان المسيح هيكل الهي لأن فيه اعلن الله نفسه اعلاناً كاملا » اه

قال الفيلسوف ليكى[١] : « كان للمسيح نفوذ لم يسمع عن مثله من ذي قبل حتى انه والحق يقال عمل بتاريخ حياته البسيط في مدى الثلاث سنوات التي قضاها على الارض على تجديد الجنس البشري ورفع شأن الانسانية مالم يكن في استطاعة جميع الفلاسفة بكل مساعيهم وجمهور اهل الادب بنصائحهم أن يعملوا شيئا منه » اه

وقال العلامة نوح اليهودي « اي حق لمن يدعونه دجالاً ونحن نرى اكثر من ١٥٠ مليوناً يعتقدون بالوهيته[٢] ومن حولنا ادلة لا عدد لها عن السعادة والايمان والحكم الصحيح والاحسان الحي العامل للخير الذي ينبعث من ديانته . ولا مشاحة اذا قلنا ان الذي صير الجنس البشري عظيماً سعيداً لا يمكن ان يكون كاذباً في دعواه » اه

وقال الربى روفائيل وهو عالم يهودي ايضاً ! « لقد سمعتموني ادعو يسوع معلم الناصرة العظيم لذلك يلزمني مع كل اليهود ان نقوم

---

(١) الفيلسوف ليكي من اشهر الكفار (٢) «هذا كان عدد المسيحيين في القرن السابع عشر اما الان فبلغ نيف وخمسمائة مليون في العالم اجمع مع الازدياد المضطرد » اه

بواجب الاكرام له لانه ليس من يهودي له قليل من العقل ينكر بان التعاليم التي علم بها باسمه كانت من اقوى الوسائل لترقية العالم الى ما بلغ اليه من الشأو الرفيع من ذرى التمدن وارجاعه من ظلام الوثنية الدامس. ومن اعظم الاسباب لاذاعة الكلمة الالهية بين الامم ولا أنكر ايضاً عظمة جهل الذين حكموا عليه بالموت وقتلوه » اه

وقال العالم بولنجبروك : « ان نظام الديانة التي انشأها المسيح واذاعها ودون اصولها الرسل تام لا نقص فيه يقوم بمطالب الدين سواء طبيعي او موحى به . والدين المسيحي كما هو في الانجيل لا يحتوي على نظام كامل للدين فقط بل وصريح ايضاً . والانجيل عبارة عن درس مستمر لا دق انواع الاداب والعدالة والاحسان والمحبة العامة كيفما اختلفت الاحوال » اه

قال جيبون المؤرخ والكافر المشهور « لا خلاف في ان الدين المسيحى هو الدين الذي نشر بين الناس نظام الاداب النقي العام الموافق لكل ادوار الحياة والمطابق لارادة وحكمة الاله العظيم ومؤيد بتصديق الثواب والعقاب » اه

وقال اللورد بيرون الشاعر الانكليزي الكبير « ان كان الله صار انساناً او الانسان الهاً فالمسيح كان الهاً وانساناً معاً . وأني لم

اطعن في تعليمه قط ولن امسه باعتراض ولكن أشكو مر الشكوى من اساءة الناس لاستعماله واهانته برداءة سيرتهم » اه

وقال توماس باين العالم المشهور « ان المسيح دعاالناس لممارسة الفضائل الادبية والاعتقادبالالهالواحد وكان فاضلا ودوداً.والآداب التي علم بها ومارسها كانت من اسمى انواع الفضيلة» اه

وقال ايضاً العلامة رينان المذكور : « ان الله في الدين المسيحي اكثر من اي نظام ديني ادبي آخر . ولا ريب في ان المسيحية هي دين الشعوب المتمدنه وكل امة تقبلها بمعناها الادبي بنسبة درجة تهذيبها العقلي . فلنحافظ اذا على المسيحيه بمزيد الاكرام والاعجاب من اجل سمو قدرها الادبي وتاريخها العجيب ومؤسسها الطاهر وجمال كتبها المقدسة ومدنيتها الصحيحة » اه

الباب الثاني

فضل المسيحية

ها انا ابشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . انهولدلكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (لو ٢ : ١٠ و ١١)

ان الانسان قدتمتع قليلا بالسعادة فى الفردوس لانه كان متحداً باللهولا شك ان الشركة مع الله تولى الانسان سلاماً واطمئناناً غير

انه ما لبث قليلا حتى وقع فى خطيئة التعدي فقضت على سلامه قضاء مبرماً وتوجس قلبه خوفاً ورعباً لان الخطيئة قد اورثته الجبن والرهبة اذ الشر منبع الخوف ومذهب للسلام .فبعدان كان الانسان يسر جداً بملاقاة العلي و يبتهج بمخاطباته العذبة صارت تجلياته تعالى من ارعب المناظر لديه حتى انه لم يشعر بوقع خطوات الرب فى الفردوس الا وانتابه الذعر فخفق قلبه جزعاً وقشعر يرة فولى الادبار ليختبيء بين الاشجار لعلها تستر عنه منظر جابلهواصبحت حالته كشقي قد ارهبته رؤ ية الحكم

وما عتم ان طرد من الفردوس، حتى شهرضدهسيف الكرو بيم الملتهب المتقلب فكان ذلك مبدأ الخصام بين الانسان وجابله ثم بعد ذلك ازداد الو بال بما قدمه الانسان من العصيان والتمرد المتوالى فحمى وطيس الحرب بين الله القديروالبشر يةالاثيمةفتقلص ظل السعادة وسادت الرعوب وتنكد الضمير وصار القضاء الالهي يتهدد البشر ية من وقت الى آخر بالاحكام الصارمة والعدل ينفذ احكامه فيها فانهمرت المياه الجارفة واغرقت البشر ولم ينج من هؤلاء الا ثمانية اشخاص فى سفينة ومن هؤلاء تكونت نواة الهيئة الاجتماعية مرة اخرى

هذا وصف اجمالي لحال الانسان قديماً حينما سلبت منهالسعادة

ولم يعرف لها طريقاً ولا مكاناً بل كانت العدالة الالهية تقتص منه في اوقات كثيرة على اساليب متباينة تارة بالماء واخرى بالنار وكان يظهر من خلالها ان الطبيعة في اشد التهيج ضد الانسان الآسيف ثأراً لالهها وغدت الظهورات الالهية من مجلبات الروع والاضطراب وموجبات الخشية والرهبة حتى أمست كأنها نذير الموت الاحمر

الفصل الاول

عجز الشرائع عن تخليص الانسان

لما ساء حال الانسان اذ كان خلواً من كل شريعة الاشريعة الذهن او الضمير اراد المولى ان يسن له شريعة يسير بموجبها حتى « وقت الاصلاح » (عب ٩ : ١٠) فوضع على قلبه رقباء ووسطاء لكي يحفظوه من الشر والخطية فوضع اولا ناموساً صالحاً ووصايا طاهرة اذا سار بموجبها لا تزل قدمه ولا يتكدر ضميره ولكن هذه النواميس والوصايا اثقلت كاهله بالذنوب لانها كانت ممزوجة بتوعدات رهيبة وعقابات صارمة حتى من هولها صرخ موسى قائلا « انا مرتعب ومرتعد » فامسى الانسان يأتي الشر و يرتكب الاثم فيضاعف عقابه و يصير عقابين عقاب فعل الخطية وعقاب تعدي الوصية . وثاني رتبة المرسلون والانبياء ولكن هؤلاء

انفسهم لم يستطيعوا ان يحفظوا ذواتهم مما حذروا الناس عنه لانهم من البشر الخطاة

ومع كل ذلك كان الخوف يمتلك كل قلب فما كان احد يجسر على الدنو من قدس الاقداس بل امسى الانسان واقعاً تحت قلاقل الريب وعوامل الشك . ألا فاذكروا نبأ ظهور الله على جبل سيناء فكم كان ذلك باعثاً على الخوف والرعب محاطاً بما من شأنه ان يولد الفزع والاضطراب اذ كان الجبل مضطرماً بنار تميد من هنا ومن هناك باسلوب مخيف والدخان يتصاعد كضباب كثيف والرعد يهزم كأنه يتوعد بشر مريع والبرق يومض كأنه ينذر برشق البشر بسهامة الذريعة والبوق يزمجر باصوات مرعبة حتى رسخ فى الذهن ان الهول في القرب من الله لاسيما والله نفسه قد صرح « ان الانسان لا يراني ويعيش » خر ٣٣ : ٢٠ كما قال منوح لامرأته « نموت موتاً لاننا قد رأينا الله » قض ١٣ : ٢٢ فكل تلك المخاوف قد ازالت السعادة والطمأنينة . زد على ذلك ان الشريعة كانت صعبة لان كلام الناموس كان شديداً « استعفى الذين سمعوه ان تزاد لهم كلمة لانهم لم يحتملوا ما أمر به » عب ١٢ : ١٩ و ٢٠ والطقوس كانت كنير ثقيل « لم يستطع اباؤنا ولا نحن ان نحمله » اع ١٥ : ١٠ ومخيفة جداً اذ كنت ترى السكين ابداً منتضاة

ومتعطشة لسفك الدماء والنار تنقض يومياً على الذبيحة فتر مدها فكل هذه الامور كانت تدل بصراحة على تلاشي السلام بين الله والبشرية الاثيمةولم تكن كافية ان تريح ضمير الانسان وترقي نفسه وتطمن قلبه

هذا من جهة الشريعة الموسوية وهكذا قد ظهرعجز الشرائع البشرية غيرها فان الفاسفة اليونانية التي بلغت شأواً عظيما في التقدم في وقت لم يكن احد يهتم فيه بالعلوم والفنون لم تصل الى تلك الغاية العظمى التي يرومها الانسان وهي السعادة وراحة الضمير فان اساطين تلك الفلسفة انفسهم عجزوا عن اراحةذواتهمفكيف يستطيعون ان يريحوا ضمائر الناس ؟ واليك بعض شهادات من اقوالهم تدل على ظهور عجزهم واقرارهم به

« سقراط » المدعو شيخ الفلاسفة وامام اهل الحكمة علم ان الله غير ممتاز عن العالم وامر عند موته ان يضحى بديك كان عنده الاسكولاييون مع انه اعتبر شهيد التعليم بوحدانية الله

« افلاطون » المدعو المعلم الالهي جعل الله بمنزلة النفس للعالم واعتقد بالتناسخ واباح قتل الاولاد القبيحي المنظر « ارسطو » علم بكون المادة ابديه وارتاب بخلود النفس « فيثاغورس » اوجب عبادة النجوم ودافع عن التناسخ قال صولون « ان قصد الالهة

مكتوم تماماً عن البشر » قال سقراط « ان كل معرفة صحيحة عن الآلهة هي من الآلهه » وقال عند موته « ارجو ان اكون منطلقاً الى اناس صالحين ولكن لست اريد ان آخذ على نفسي تثبيت هذا الأمر »

قال افلاطون « ليس لنا ان نعرف الحقائق الا من الآلهة أو من ابناء الآلهة وليس وسيلة لمعرفة ارادة الآلهة الا بنبي يعلمنها لنا »

قال شيشرون « ان كل الاشياء محاطة بظلمة دامسة تسترها حتى لا تقدر قوة عقلية ان تستكشفها » وهذا ما حدا بالفيلسوف سنيكا ان يقول « ان الخلود شيء مشتهي جداً ولكنه موعود به اكثر مما هو مثبت »

قال ارسطو عند موته « لقد جئت الى هذا العالم عرياناً وعشت فيه شقياً تعيساً واموت الان في حيرة لاني لست اعلم الي اين مصيري وانتهائي ولكن انت يا موجد كل الموجودات وعلة العلل ترآف علي وارفق بي »

هذه بعض من اعترافات كبار الفلاسفة واعظم اهل العلم وكلها تدل على انهم عاجزون عن معرفة الحق بل ضلوا ضلالاً فظيعاً واضطروا الى الاقرار بالضعف والقصور

واذا تأملنا اعتقادات الامم الاخرى الوثنية لا سيما في ما يختص بخلاص النفس من ربقة الاثم وجدنا الوسائط التي يستعملونها لذلك تافهة لا تروى لهم غليلاً و باطلاً يقومون بها فمن ذلك حينما يشعرون بالتعب من خطاياهم يشير عليهم الكهنة باحتمال الآلام المتنوعة لا للحصول على التبرير وانما يرجون رجاء باطلا بانهم يرضون آلهتهم فيغفرون لهم خطاياهم . فترى الكهنة تارة يأمرون الشعب بالسير حول الهيا كل لا بسين احذية في نعالها مسامير حادة الرؤوس حتى اذا تحركوا تنخس ارجلهم وفي كل خطوة يخطونها يتألمون من تلك المسامير و يخرج الدم منها

وطوراً يأمرونهم فيضطجعون اياماً واسابيع او اشهراً على فرش مغطاة بمناخس من حديد ضخمة الرؤوس واحياناً يلزمونهم بان يثقبوا السنتهم و يدخلوا في الثقب قضيباً . قال الدكتور نيوتن « وهناك قدام الهيا كل سقالة يكون علوها طبقتين او ثلاثاً وعند اسفلها توضع على الارض اكياس صوف مسطحة فيها مسامير حديدية ومن يريد من الشعب ان يرضي الآلهة و يحصل على غفران الخطايا يؤمر فيصعد على تلك السقالة و يقف على طرفها و يطرح نفسه فيسقط على تلك المسامير والجمهور العظيم واقف لمشاهدة المنظر وحالما يسقط اولئك المساكين على تلك المناخس الذريعة المؤلمة

يصفق الجميع بايديهم و يرتفع ضجيجهم وصراخهم الى طبقات الجو كانهم يرون امراً مفرحاً » اه

والخلاصة ان كل الوسائط التي استعملها الانسان لتطمين خاطره واراحة فكره لم تجده نفعاً وقد غدت بلا طائل لولا ظهور الديانة المسيحية التى أتت بالمطلوب وقضت ماهو مرجو ومرغوب .وقبيل ظهور هذه الديانة كانت جميع الطبيعة البشرية تصرخ الى السماء ولسان حالها يقول « انه وقت عمل للرب قد نقضوا شريعتك » مز ١١٩:١٢٦ فكان جوابه تعالى فى جميع تلك التجهيزات التي أقامتها عنايته «قريب برى قد برز خلاصي » اش ٥١ : ٥

الفصل الثاني

العالم والمسيحية

في سنة ٤٠٠٤ للخليقة ولد السيد المسيح

وفي ليلة ميلاده طافت ملائكة السماء بقياثيرها الشجية تهني. أهل الارض قائلة « هانحن نبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب انه قد ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هوالمسيح الرب» (لو ٢ : ١٠ و١١) ولا عجب من قولهم هذا لانه بميلاد المسيح كان

قد حان الوقت الذي فيه تزول الظلمة الروحية الداجية التي غطت الارض مدة اربعة آلاف سنة والذي فيه يسحق رأس الحية العتيقة اي ابليس وينادي للاسرى بالاطلاق والحريه وللعمي بالبصر ويسهل الطريق لنوال المغفرة والسلام لجميع بني البشر . وايضاً كان قد قرب الميعاد لاظهار واثبات الحقيقة الجليله وكشف السر المكتوم منذ القديم اي الطريق التي بها يعفو الله عن الخاطىء بمجرد رحمته اكراماً للمسيح بدون ان يناقض احكام عدله وقداسته وكان الخلاص العظيم مزمعاً كذلك ان يظهر ويتم حقيقة وفعلا لا بواسطة رموز وكنايات مبهمة . والمعرفة بالله وبشريعته التي كانت منحصرة في امة اليهود كانت عتيدة ان تنتشر بين سائر الشعوب والامم على وجه الارض كلها

وقد بث السيد المسيح تعاليمه فى نفوس تابعيه الاثنى عشر وهؤلاء جالوا يكرزون بها واتوا بواسطتها اعمالا تعد من المعجزات فازالوا الجهالة واستبدلوها بالعلم ورفعوا الدين الالهي النقي فوق الاديان الباطلة بعد ان اماطوا اللثام عنها فاستجلوها وافرغوا مجهودهم في مقاتلة اعداء الدين والحرية والعلم فرجعوا فائزين منتصرين وعلموا الناس مبادىء الدين والشرف بما انار الخافقين

ولا ريب ان هذا التعليم الجديد قد عمل على تغيير الانسانية

تغييرا كليا وكان من اثماره ان اطمأنت القلوب الخائفة وسكنت الافئدة الواجفة وهدىء الضمير المروع وأدرك الانسان اصل وجوده وغايته ومصيره الامور التي بحث عنها الفلاسفة طويلا ولكنهم عجزوا عن ادراكها فلم يمكنهم ان يخبروا عن صفات الله بأجلى بيان ولم يكن لهم ان يؤكدوا للناس غفران خطاياهم لان الطبيعة لم تعلم بذلك وكل النواميس البشرية عجزت عن ارشادنا الى الكمالات الالهية ووصف الحالات التي تكون بعد القبر وعقيب نهاية العالم ولم تستطع ان تخبرنا عن الخلود الابدي ويصح في هذا قول هيوم الكافر الشهير : « ان الديانة في كل أبوابها لغز وسر لايحل وجل ماتحصل عليه من ادق البحث عن هذا الموضوع هو الشك وعدم التأكيد والتوقف عن الحكم » ويماثله قول الرسول « ان العالم لم يعرف الله بالحكمة » (١ كو ١ : ٢١)

ان الديانة المسيحية هي الديانة الوحيدة التي تفضل بها الله على بني البشر قانوناً للحياة قاضيا على الجهالة فهي مرشد لنا في هذه الحياة تعلمنا كيف نحيا ونعيش للبر وكيف نسلك مع المسيح وتعلمنا كيف نعبد الله

ومن المحقق الذي دل عليه الاختبار ان كتب اهل الاديان الاخرى لاتؤدي باصحابها الى شيء مما يدلنا كتاب المسيحية اليه

فأي كتاب منها يسكن روع الخاطيء من هول الحساب واي منها يستميل القلب والحياة ويعده لسماء طاهرة لا تدخلها الشهوات ولا تحوم حولها الادناس يسكن فيها جماعة المخلصين الذين نالوا الحرية الكاملة الخالية من كل عيب ودنس ونقص الى غير ذلك مما هو مخالف لطبيعة الله الكلي القداسة فتلك الاديان لا تدل على طريق الخلاص من الخطية ولا كيفية احراز القبول لدى الله بل تغادر الانسان بدون ان تروى له غليلا

واذا اردنا ان ندرك « فضل المسيحية » فيجب علينا ان نلقي نظرة على حال العالم قبل « ظهور هذه الديانة » فقد أخبر مؤرخو ذلك العصر انه لما أتى المخلص له المجد الى العالم كان العالم في حالة الغباوة والشر . وكان الجميع خلا الاسرائيليين عبدة أصنام وحياتهم كدياناتهم مملوءة فساداً وشراً اذ لم يكن لهم رجاء ولا اله حسبما قال عنهم بولس الرسول (اف ٢ : ١٢)

وتاريخ تلك الازمنه يشهد بان الناس لم يكونوا يعبأون كثيراً بالشر ويظنون انه أمر فظيع بل كانوا يمارسون كل أنواع القساوة التي تملأ الانسان نفوراً وكرهاً بل كانوا يتوهمون ان فى ارتكاب المعاصي ارضاء الآلهة لهذا كانوا يطلبون من الآلهة ان تساعدهم على السرقة والكذب والفسق والى غير ذلك

وحتى البلاد التي كان لها قسط وافر من المدنية والعلم كرومه و بلاد اليونان لم تخل من امثال هذه المنكرات بل فشت بينهم العبادة الوثنية وآلهتها التي كانت لا تسر حسب عرفهم الا بسفك الدماء وتضحية الاجساد الطاهرة والنفوس البريئة على مذابح الشر والفساد فسفكت الاباء نفوس الابناء وقتلت الامهات بناتهن أمام تلك الاحجار الصوانية التي لا تشعر ولا تحس وهكذا كنت ترى الرجل فى خيفة من زوجته واولاده حتى ارتعشت الفلاسفة وخافت العلماء من ان تقضي هذه العبادة الباطلة على حياة الجنس البشري لكن والحالة هذه « ظهرت الديانة المسيحية » فغيرت نظام العالم من هيئة انحطاطه في الآداب الى هيئة سامية سماوية وقضت على تلك الفظائع وافقدت الرذائل واجلست على عرشها الفضائل فساد الامن وعم الاطمئنان

قد احدثت المسيحية تأثيراً عظيما فى العالم لانه حيث تغلبت وقبلت باعتبار عظيم ورسخت تعاليمها ايمان وطيد وامتثلت أوامرها افادت الهيئة الاجتماعية ورفعت شأنها وجعلت احوال البشر افضل مما كانت عليه قبل دخولها بينهم

ذلك هو فعل الدين المسيحى الدين الذي اتى من السماء ووضع أصوله ابن الله وتأيد بالآيات الباهرة والمعجزات القاهرة وصحت

فيه النبوات الظاهرة وثبت بدم المسيح ورسله الذين ماتوا نصرة لحقه و بانت قوته في الذين جاهروا بحقائقه مقتحمين غمرات الموت باشكال العذاب مستسهلين الاستشهاد على ترك الايمان به

الدين المسيحي هو اقوى اساس يبنى عليه التهذيب الحقيقي والارشاد الكامل الى سبل الحياة وطريق الاستقامة وعلى اعمدته تشاد دعائم الفضيلة والآداب العالية و به تستضيء افكار الحكماء والعلماء وتستنير اذهان الجهلاء والبسطاء

الدين المسيحي هو الدين الذي انشأ في الوجود انسانية جديدة لم تكن قبل ظهوره . هو الذي علم الناس مبادىء الشرف والعدل والذي ارشدهم الى طريق الخلاص بالمسيح يسوع ليكونوا آمنين وقت الموت وسعداء فى الابدية وذلك للاسباب الآتية

(١) لسمو تعاليمه .أجل ان بين البشر فلاسفة محنكين وعلماء مدر بين تكلموا بأقوال نفيسة ونطقوا بحكم معتبرة جديرة ان يتمثل بها الانسان في كثير من الظروف المختلفة ولكنهم لم يحيطوا علما بدائرة الاختبار الكافي ولم يتوصلوا الى درجة بها يعلمون الدواء الشافي للعلل الكثيرة التي تنتاب الشر وان كانوا قد علموا بعض الصفات الواجب الاتصاف بها ولكن قانونهم القاضي ببقاء الانفع يقول « باماتة العجزة والشيوخ ومن لا قدرة

له على الاتيان بفائدة » ولذلك لم يستقبح افلاطون قتل كل مشوه
الوجه ومن هذه الشريعة عمد اهالي اسبرطه الى قتل كل طفل يولد
ضعيف البنية على حجر امه . ولكن الدين المسيحي تمتاز مطاليبه
عن مطاليب سائر الاديان بل تتميز آداب الكتاب المقدس والدين
المسيحي عن كل ما سواهما بل هو يرفض بالكلية في كل تعاليمه
رذائل الشر و يستهجنها و يرفع شأن كل ما يليق بالبشر من الفضائل
و يأمر قائلاً « كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل
ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن ان كان فضيلة وان
كان مدح ففي هذا افتكروا » في ٤ : ٨

(٢) لتأثيره في المدنية الصحيحة . ليس من ينكر ان الدين
المسيحي عامل على امتداد المدنية باحياء روح الوحدة في قلوب
تابعيه وايجاد مبدأ الاشتراكية الصحيح والاخوة الحقة بين أفراد
الامم المتنوعة التي يعمل على توحيد افكارها وجمع شتات أغراضها
الى عائلة واحدة تسعى السعي المشترك للصالح الواحد العام بغض
النظر عن اختلاف الجنس والوطن . العلم دفعنا الى الرفق بأولى العلم
نظيرنا اما المسيحية فتعلمنا ان نشفق على جميع الجنس البشري على
اختلاف طبقاته وذلك على سبيل الواجب

زد على ذلك ان الدين المسيحي يعمل على الدوام على نصرة

الفضيلة بل هو مصدرها وعلة وجودها ولما كانت المدنية الصحيحة لاتقوم الا بالفضيلة كان الدين المسيحي علة المدنية بلا خلاف

(٣) لتغلبه على جميع الموانع التي كانت سداً بين طبقات جميع الشعوب . قد أزال الدين المسيحي هذه الصعوبات بعكس الاديان الاخرى فاليهودي يكره السامري والصيني يدعو الاجنبي شيطاناً والرومان واليونان يقسمون الناس الى متمدينين و برابرة و يقسمونهم الى مؤمنين وغير مؤمنين وشتان بينهما . ولكن ليس كذلك فى المسيحية فلا فرق بين شعب وشعب أو جنس وآخر ليس يهودي ولا يوناني ليس عبد ولا حر ليس ذكر ولا انثى لانكم جميعاً واحد في المسيح يسوع (غل ٣ : ٢٦:٢٨)

أوَ ليس الدين المسيحي هو الذي نقل العالم من العبودية الجائرة الى الحرية والمساواة والاخاء . ألا ينسب له الفضل فى منع النخاسة (الاتجار بالعبيد) و وقوفه كالسد المنيع ضد من يتجارى على ذلك؟

انقضى الزمن القديم و بث السيد المسيح تعاليمه الفضلى الجديدة المؤسسة على الحرية ورفع لواء شأن الانسانية فانقذ العبيد الارقاء بواسطة تعاليم الانجيل الصالحة كما مر بنا ولكن أمرت الشريعة المسيحية بان يخضع العبيد لمواليهم خضوعاً تاماً (غل ٥ :١٣)

وعليه فلا بدع ان قلنا ان شجرة الحرية الحقيقية لم تنبت الا في

بستان الانجيل وعبثاً نحاول الوقوف على مصدر آخر للحرية غير الدين المسيحى فهو وحده الذي وضع أصولها وقررمبادئها وعلم الناس حرية الفكر ليعتقدوا ما يعقلون وما تقبله الضمائر و بالجملة فالدين المسيحى رفع قدر الانسانية وضرب على الاستبداد بيد من حديد وأنشأ في الوجود هيئة توفرت فيها شروط المدنية على مبادىء صحيحة حرة في مبادئها منتظمة الشؤون

(٤) برهان ملموس . من أراد ان يتحقق فضل الدين المسيحى تحقيقاً لاشك بعده فليوجه نظره نحو الامم الخالية من أصوله والتي تجردت عواطف أهلها من مبادئه فلا يرى الا فساداً ينبع وشروراً تلمع ومطامع لا تشبع ودماء تسفك على ارض لا تبلع قال احد الافاضل « اجل نظرك الى آداب المملكة الرومانية قديماً او ايطاليا تحت سلطة ملوكها الاولين والى فرنسا زمن ثورتها المشهورة حين خلعت الدين انظر الى مبادىء الفوضويين والاشتراكيين المتطرفين الذين جل مقاصدهم افناء العائلات وتقويض اركان النظام العمراني وابطال الاعتقاد بالله وماذا ترى الا وحوشاً فى اجسام بشرية بل شياطين فى صور انسانية تجردت قلوبهم من عاطفة الرفق والحنان وخلت مشاعرهم من الحب لاخوتهم بني الانسان» اه . أما الدين المسيحى فاذا وجهت نظرك الى نتائج تعاليمه ترى آثار

الخير المنتشرة في الارض المخففة لآلام الانسانية العاملة على ازالة ويلاتها وبه كثر الاجتهاد والذكاء وشيدت المدارس والكنائس والمستشفيات والجمعيات الخيرية والتبشيرية وتحسنت العلوم والمعارف ولا ريب ان اية دوله تضع قواعد الدين المسيحي نصب عينيها ترتقى رقياً صحيحاً وقد شهدت بذلك الملكة فيكتوريا عند ما اتى اليها سفير امير افريقي ارسله مولاه ليعلم سر القوة الانكليزية اذ قالت لوزيرها « قل للامير ان هذا (واشارت الى نسخة من الانجيل) هو سر عظمة انكلترا » اه

(٥) لتأثيره في الافراد والجماعات . دخل الدين المسيحي الى قلوب الافراد فملأها كمالا وقداسة وطهرها مما تلوثت به من ادناس الشوائب الحسية وعمل على تجديد الانسان وتنظيم اموره واعلاء قدره وتغيير مبادئه فصار يميل بعاطفة المحبة الطاهرة الى القداسة والى اخوته بني الانسان ويعمل لخيرهم ويسعى في تخفيف ويلاتهم

ثم دخل العائلات فرقى نظامها وعلم المرأة احترام الرجل وارشد الرجل الى واجباته نحو المرأة وهذب الاولاد على طاعة الوالدين واوصى بالاعتناء بالمرضى وافتقاد المحبوسين والاسرى . واذا وجهت نظرك فلا تجد اسعد واتم نظاماً من هيئة يعيش افرادها مسيحيين بالحق يسيرون حسب ارادة مولاهم في القول والعمل . كما انك لا تجد

دينا في العالم يبعث على احياء العواطف الميتة ويخلق التأثير العجيب في الضمائر النائمة سوى الدين المسيحي فانه يفعل مالا تفعله السيوف البتارة ولا تقدر عليه صولة الجبابره و يفتت صلد الصخور القبلية و يحول الذئب الضاري الى حمل وديع و ينهض بالناس من سنة النوم الى طلب المغفرة ونيل الخلاص المجاني

ذلك الدين الذي أثر على الاخلاق والقلوب وغيرا كبر الامم واعظم الشعوب ونقلها من اخلاق الوحوش الضاربة والاسود الكاسرة الى الرفق واللين بل من الهجمية الى المدنية ومن التوحش الى الانسانية ومن الغباوة والجهل الى النور والفهم من اكل اموال الايتام والارامل الي مساعدة الاقوياء للضعفاء والاغنياء للفقراء من عبادة الاصنام والحيوانات الى عبادة خالق الارض والسموات

لا تجد مكاناً آمناً مطمئناً يحترم الاباء اولادهم و يعتني بالاطفال و يعرف مقام المرأة و يرثى لحال الفقير و يشفق على البائس المسكين و يعال المقعد العاجز الا حيث امتدت سطوة الدين المسيحي وعرفت قواعده . واذا راجعنا تاريخ الجنس البشري ونظرنا في احوالهم اجمالا رأينا من تأثيره في الافراد والجماعات ما يجعله فوق كل كلام فكم هذب ودرب أقواماً وأرشد خطاة وهدى ضالين وجعل السكير ابياً والزاني عفيفا والشرس لطيفاً و رفع عائلات ونظم

جماعات . وتأثيره على الخصوص هو خفي في القلب مع ما فيه من الجلال الباهر والجمال الساحر الامور التي لايتسنى للمبادىء السياسية والعلمية مهما كانت ان تعمله لانها وان كانت توسع دائرة العقل وتثقفه فانها عاجزة عن زرع بذور الحب وعن السيادة على القلب الذي منه مخارج الحياة ولا تستطيع التسلط على الضمير و بدون اصلاح القلب والضمير لايمكن الحصول على الاصلاح الحقيقي الواجب لارتقاء الامم فلذلك يكون الدين المسيحي وحده القادر على هذا الامر

هذا ولو اردنا ان نتكلم عن كل الاصلاحات التي اجراها الدين المسيحي فى العالم والتى تدل على « فضله » لاحتجنا الى مجلدات ضخمة بل نكتفى بما ذكرنا كما ان النور لايمكن اخفاؤه والشمس لايمكن ان نحجبها بكفينا . غير اننا نسأل اعداء الدين المسيحى هذا السؤال : هل لكم ان تأتوا بدين يفعل هذا الفعل الغريب و يؤثر فى نظام البشرية هذا التأثير العجيب اتحفونا بدين مثله ان كنتم صادقين . تصوروا ماذا يحصل للعالم لو انتفى الدين المسيحى ؟ أو ترى كيف يكون حال العالم لو رفعت منه قواعد الدين المسيحى ألا تعلم ان الفوضى تعم والخراب ينتشر والارض تصبح جحيما لا يطاق ؟ قال مرة رئيس الولايات المتحدة « ان كل رجاء تقدم البشر متعلق على تأثير المسيحية المتزايد » اه

الباب الثالث

(معجزة المسيحية)

المعجزة هي فعل محسوس مذهل مخالف للنظام المعتاد ولشرائع الطبيعة أذ مايحـدث بموجب شرائع الطبيعة و يكون موافقاً للنظام الاعتيادي يسمى حادثاً طبيعياً واما ماحدث خلافاً لشرائع الطبيعة و يكون مصحو با بتعريف سابق بان ذلك موافق لارادته تعـالى ومصنوع بقدرته فهو معجزة . فمثلا من شرائع الطبيعة ان الميت لا يرجع الى الحياة فلو رجع لكان ذلك معجزة

وعلى مقتضى هذا التعريف فمن له المام بالحوادث التاريخيـة ويتتبع تاريخ الديانة المسيحيـة من بدء تأسيسها لغاية الآن يرى ان وجود هـذه الديانة و بقاءها للآن هو معجزة في بابه اذ من المعروف ان الامم لاتقوم لها قائمة والهيئات لا تتـكون والممالك لا تثبت الا بالقوة . هـذا شيء طبيعي يؤيده المشاهد وتؤمن عليـه الشرائع الطبيعية التي تجعل القوة والعظمة أمرين متلازمين . ولـكن مما حدث معجزة مخالفاً لسنة الطبيعة ان الديانة المسيحيـة تأسست بالضعف وقامت باللاقوة. ونجاح الانجيل واتساعه لم يتم الا بوسائط ضعيفة وذلك برهان على انه من الله

ولا خلاف فى ان الاديان الاخرى لم تتأيد في الارض الا بقوة البشر ولم تقم لها قائمة الا بتدبيرات طبيعية . فبعضها نجح بالسيف والآخر بالحيلة والتدبير البشري وغير ذلك من الوسائل الزمنية اما الدين المسيحي فجل عن ذلك كثيراً وسمى عن غيره ولم يتخذ وسيلة بشرية لنشر فضائله بل اذاعها باظهار سموها بين الناس . نعم لقد ينتشر الدين بقوة السيف اما الدين المسيحي ففضلا عن كونه تجرد من هذه القوة فكان السيف وأصحابه ضده وضد اتباعه . وقد يعم الدين بالنفوذ السياسي اما المسيحية فكانت السلطة المدنية ضدها تريد اعدامها

ولو كان الانذار بالانجيل مستندا الى اعمال الطبيعة ومساعداتها لكان ذلك ابطالا واضعافاً لقوة الصليب العجيبة فالانجيل بدون الاستعدادات البشرية قرر له بقوة الله ان يفتتح بنفسه القلوب ويبين للعالم بهذه المعجزة انه آتٍ من الله وبذلك أخزيت تلك القوة الانسانية وهذه الحكمة البشرية . وينتج من ذلك ان اهتداء الامم ودخول الكثيرين الى المسيحية وتلك الاقوال التي ادهشت المتقدمين وأعجزت المتأخرين لم تكن من قوة البشر وبراهينهم المقنعة .

أجل . ان نجاح الانجيل اولا في تلك الاوقات هو معجزة عظيمة

ليست من الارض بل من فوق فمجرد النظر الى صفات العصر الذي انتشرت فيه المسيحية يتضح ان ثبوتها فيه كان بقوة الله فان اعداءها كانوا أقوياء هذا فضلا عن تشبث كل امة بديانتها. والديانة المسيحية أتت لا لكي توجد فقط بل لتلاشي الاديان الفاسدة الاخري فمهمتها كانت صعبة للغاية . فماذا يعمل اشياع هذه الديانة وكيف يستطيعون ان يغيروا القلوب عن اديان الفوها و وجدوا أباءهم عليها الى ديانة حديثة لم يعرفوها ولم يسمعوا بها من قبل وهي « المسيحية » ويرجح ان هذا اللقب « مسيحي » كان فى الاول شتيمة « ١ بط ٤ : ١٦ » حتى ان اغريباس قال لبولس « بقليل تقنعني ان أصير مسيحيا » (اع ٢٦ : ٢٨) والمعنى ان حسن برهانك يجعلني أرضى أن عاب بهذا الاسم

ويجب علينا ان نلاحظ انه كان وقتئذ لكهنة اليهود والامم سلطة ونفوذ . ومشروع المسيحية يقوض كل سلطة لهم ولذلك ينتظر ان تكون مقاومتهم للمسيحية شديدة جداً . كما ان السلطة العالمية كانت ترتعد فرقاً مخافة ان تكون الديانة المسيحية آتية لتحل محل الملوك والولاة ولهذا كنا نرى الامبراطور دومتيانوس يتوجس خيفة عند ما يسمع عن المسيح بانه ملك وكان يخشى ان يأتي المسيح يوماً و ينزع الملك من يده ويجلس مكانه لانه لم يكن عارفا ان

ملكوت المسيح هو ملكوت روحي وان ملكه هو في قلوب الناس لافوق اعناقهم

لهذه الاسباب اتحد على مقاومة الانجيل جمهور الشعب والعلماء والكفرة والكهنة وسلطان الحكم المدني . ولاجل ذلك كان امام المسيحية صعوبات كثيرة وعقبات عديدة عليها ان تقاسيها وتجتازها لكي تقوم بما عهد به اليها . وكان لها ان تتذرع بقوة عظيمة تفوق كل تلك القوي التي كانت تعمل على محو أثرها من الوجود

ولا ريب ان الامم تربصت للمسيحية في ابان ظهورها اذ علمت بعظم الخطر الذي يلحق مصالحها من جراء مبادي، هذه الديانة فتألبوا على معارضتها و راموا تقويض اركانها وعرقلة مساعيها • ولكن من هنا يظهر وجه الاعجاز الذي نتكلم عنه فمع ان اضطهاد المسيحيين قد لازم حده والتضيق اخذ اشده وشرع السيف يعمل في رقابهم حتى قتل منهم الوف على اشنع طريقة سواء بالحرق او بطرحهم للوحوش الضارية . مع كل ذلك نري ان ذلك الحق الذي كان ينادي به اولئك المضطهدين والمهانين والمزدرى بهم قد رسخ كاملا وثبت عاملا واستمر لامعاً بنوره الساطع وممتداً الى كل اقطار العالم

ولم يمض الا قليل من الزمن حتى آمن الوف ٌ بالديانة المسيحية فى أورشليم وأماكن أخرى فى بلاد اليهودية . وفى بلاد الوثنيين كان النجاح اكثر سرعة واتساعاً . واما أتى على ظهور المسيحية نصف قرن حتى قامت كنائس فى أعظم مدن الولاية الرومانية جميعها التي كانت اذ ذاك ممتدة فى اكثر الاقطار المعروفة حينئذ من الدنيا • وكان كلما حمي وطيس الاضطهاد كلما كثر عدد الداخلين الى حضن المسيحية وما زال الامر ينمو و يتقدم حتى صارت الديانة المسيحية ديانة القياصرة وأشراف ولايتهم وذلك فى أقل من ثلاثة قرون بعد قيامة المسيح

تلك هي الموانع والصعوبات التي احتاطت بها المسيحية والتي هبطت عليها كالسيل الجارف غير انها لم تتنكص الى الوراء ولم ترتد على عقبيها خاسرة بل ثبتت غير متزعزعه وهذاما يقودنا الى الاعتراف بأن قوة سرية كانت تعمل فيها و بها وهى التي حفظتها في كل تلك الادوار المريعة التي تجلبتها فقال كارليل الكاتب الانكليزي الشهير : « كيف نجح هذا الدين وامتد بين الناس هل بالانديه ودور التعليم والتدابير الطبيعية العقلية ؟ كلا ولكنه بخلاف ذلك يضعف تأثيره بمثل هذه الوسائل . ولانه ليس بدين عقلي فلا يمتد بالوسائط العقلية . ولا هو نظام بشري فلا ينجح بالاسباب الزمنية

ولكنه روحي يتقدم بالطرق الالهية . فقد نشأ في اعمق اعماق النفس وانتشر بالتبشير بالكلمة لا بالادلة والمناظرات الفلسفية والبينات المنطقية وامتد بالاقناع الداخلي بوسائط ضعيفه فكان كلهيب النار يندلع لسانه ممتداً من قلب الى قلب حتى تطهرت قلوب تابعيه وضاءت بنوره الآلهي الفائق واشرق على ظلام العالم كالشمس في ضحاها . وانار في دجى ليل الجهالة فبدد غياهبها ولا اثر للمساعي البشرية في نجاحه ولا للوسائط المادية الزمنية في انتشاره» اه

حقاً انه لامر عجيب . وما يدعو الى العجب اكثر فاكثر اذا تأملنا في المصدر الذي كانت تستمد منه المسيحية قوتها والذي به تثبت اساسها . ولنتأمل الآن في ثلاثة امور كانت العوامل الوحيدة في بقاء المسيحيه سائرة على مبدأ الزيادة الفائقة حتى الآن

الفصل الاول

(الصليب)

« فان كلمة الصليب عند الهالكين جهالة واما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله » (١ كو ١ : ١٨)

ان الديانة المسيحية هي ديانة المعجزات والعجائب لهذا لا غرابة ان كنا نرى اول سلاح استعملته لتأييدها واعظم مدفع اطلقته على

خرافات الوثنيين واوهام اليهود واهم طيارة حلقت بها فوق القلوب القاسية واسرتها هو « الصليب » ذلك الذي لم يجد بولس شيئاً يفوقه حتى يفخر به « واما من جهتي فحاشا لي ان أفتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح » (غل ٩ : ١٤) هناك من اعلى جبل الجلجثه صدر المرسوم الملوكي بوجود المسيحية « قد اكمل » يو ١٩ : ٣٠ وهنالك تحت خشبة الصليب انسكبت قطرات الدم الثمين التي بها كتبت معاهدة الصلح بين الله والبشرية الاثيمة وبهذه الدماء الكريمة تأيدت المسيحية « ذبحت واشتريتنا لله بدمك » رؤه ٥ : ٩

لا نقصد « بالصليب » قطعة الخشب التي استعملت لاتمام هذا الغرض بل نريد بذلك العمل العظيم الذي تم بالصليب ، لا بل ذلك الرجل العظيم « المصلوب » مؤسس المسيحية . كثيراً ما احتقرت المسيحية لان رئيسها مات « مصلوباً » ولكن قد مضى ١٩ جيلا منذ تأسست المسيحية وقد هلكت فيها النسور الرومانية واشعة الصليب لا تزال تضيء في القلوب ومن أعلى قباب الكنائس في انحاء العالم وصارت المملكة المسيحية الآن تنيف عن اضعاف المملكة الرومانية

ان موءسس المسيحية « المصلوب » يفوق جميع مؤسسي الحكومات

والمشرعين العظام والابطال الصناديد وحماة الامم فلم يفكر واحد في ما فكر فيه هذا الشخص العجيب بل ان افضلهم واعظمهم وقف نفعه بالاخص على قومه او امته او مملكته اما يسوع ذاك النجار الجليلي البسيط فله ما لم ينسب لاولئك. ذاك الذي لم ير خارطة واحدة للعالم في كل حياته ولا سمع باخبار ولو نصف الامم العظيمة التي تسكن على سطح الكره. عاش زمناً في اجمل ولايات فلسطين في حالة الفقر مشتغلا بيديه تحت ظلال دكان النجاره بعيداً عن المدارس والجمعيات والمكاتب. لاحظ له في وسائل المدنية الاجتماعية ولا التربية العصرية ولم يكن له منها سوى عناية الام وكتاب الطبيعه ونسخة العهد القديم وشركته الداخلية مع ابيه السماوي. ومن ذلك قام استغراب اليهود وكل معارضيه الذين سمعوا اقواله المدهشة فزاد عجبهم قائلين « اليس هذا ابن النجار فمن اين له هذه الحكمة وهو لم يتعلم قط ؟ »

ومما يدعو الى الغرابة اكثر هو اننا نراه يشرع وهو خارج من دكان النجارة في مشروع اصعب واوسع من مشروع نابليون لانه قصد بمشروعه اخضاع العالم كله لذاته وزاد عن نابليون بانه قصد اخضاعه بعمل المحبة الالهية. على انه مهما يقال في امر نوابغ الارض فكان لا بد من توالى السنين وكثرة الايام لاعداد عقولهم

وصفاتهم حتى يمكنهم الظهور بين الناس وندر من ظهر منهم في شرخ شبابه واتم عملا يذكر وهو فى سن الثلاثين من عمره نظير اسكندر المكدوني الكبير . ولكن هذا كان سفاكا للدماء قضى حياته يعيث في الارض فساداً ثم مات اخيراً مغلوباً من شهوته و بعد ان شاد اعظم مملكة لعبت بها ايدي الضياع واندثرت بعد مماته . اما يسوع المسيح بشير السلام فانه مات منتصراً وملكه الروحي دائم الى الابد

ان اغلب اليهود الذين سمعوا كلام يسوع عن تأسيسه مملكة ليست من هذا العالم كانوا يرمونه بالمروق عن جادة الصواب بل كانوا يحتقرونه وذلك لانهم كانوا ينظرون ل[illegible]عف الشخص المنظور لهم ولم يكونوا يخالون ان كلام هذا الناصري يتم بعد موته بوقت قليل حيث أخذت مملكته تمتد حتى الى بيت القيصر . وما كان ادعى للاندهاش قول مؤسس المسيحية « ان حبة الحنطة ما لم تسقط في الارض وتمت فلا تثمر » فهو يعلق نجاح ديانته على موته . وفى هذا معجزة غريبة . ملك يحتفل بتنصيبه وهو معلق على الصليب ويتوج با كليل شوك و يملك وهو بين ثنايا القبور . لامراء ان الذين قاموا ليوسسوا الممالك هم رجال غيورون عظام ذوو بأس وقوة لهم عدة وسلاح اما مؤسس المسيحية فقد ابتدأ بتأسيس مملكته بروح

الهدوء والرزانه وعمل بدون مظاهرة ولا طنطنه وختم حياته بالموت معتبرا ان هذا هو النصره

ترى قادة الامم وابطالها لا يخالطون الا العظماء لـكي يكونو لهم عضداً في مهام الامور اما قائد المسيحية وبطلها فلم يهتم الا بالفقراء ولم يهتم بهم فقط بل سر ان يكون واحداً منهم « الذي افتقر لاجلنا وهو غني » كو ٨ : ٩ كما انه لم يكن محاطاً بحزب ولا معضداً من فئة من الناس تعاونه على مشروع تأسيس مماـكته ولا جعل لذاته شهرة خاصة ولا امتيازاً معلوماً « بل أخذ صورة العبد صائراً في شبه الناس » في ٢ : ٦ و ٨

قال ثيودوباكر عن يسـوع « افحصه كما تفحص المعلمين الآخرين. انهم يلقون تعاليمهم على الناس فيقوم بعدهم افراد قلائل من المنتظرين تعزية في تلك التعاليم ويقبلون البشائر الجديدة ويتبعون الطرق الجديدة ولـكنهم لا يلبثون حتى يفوقوا معلميهم ويزيدوا شهرة وعملا عن مرشديهم بقدر ما تـكون عقولهم اقوى واكبر من اولئك المعلمين . ولـكننا نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور نرى اليوم ما لم يره سقراط ولا غيره من العلماء . نرى انه بعد مرور تسعة عشر قرناً على بزوغ شمس الانسانية يسوع هو الشمس العاليه التي لا تعلوها شمس في الوجود . للآن لم يستطع فرد او جماعة ان يحيطوا

علماً بكل افكاره او ادراكا بجميع طرقه وان يطبقوا حياتهم تماماً على مثال حياته » اه

هذا ولم يأتنا التاريخ بخبر رجل عاش هكذا وديعاً ناكراً ذاته انكاراً لا نظير له كما واننا لم نسمع عن نجاح باهر صادف عملا كالنجاح الذي صادف عمل هذا الرجل الوديع . هو المولود في مذود البهائم والمصلوب على الصليب كمجرم قد ساد الان على ممالك العالم المتمدن وخضع لسلطانه ما يزيد عن ثلث سكان الكره الارضية

فهل خطر لاحد فكر كهذا ان يكون موته سبباً لانتشار ديانة عظيمة كهذا ؟ قيل « حاول ليبيه الفيلسوف الفرنساوي ان يخترع ديناً فخاب مسعاه فذهب لاستشارة تاليرند المشهور فقال له هذا :

« يامسيو ليبيه لقد شرعت في أمر خطير اذ ليس من السهل انتشار ديانة جديدة . ولا اعرف كيف تنجح . الا اني اشير عليك ان تموت صلبا وتقوم من بين الاموات في اليوم الثالث » اه



الفصل الثاني

(رسل الصليب)

لنلتفت الآن الى الذين فوض اليهم نشر الانجيـل · فمن هم الذين أرسلوا ليكرزوا بالمسيحية للخليقة كلها و يتلمذوا جميع الامم. ربما يخال للبعض اذ يرون النجاح العظيم الذي لازم المسيحية ان وسائط نشرها كانت متوفرة ولـكن لدفع هذه الشبهة نقول : ان السيد له المجد لم يؤلف مملـكة ويحشد جنوداً ويعبيء عساكر تدافع عن دينه الجديد ولـكنه لم يترك الا تلاميذ لاصولة لهم ولا قوة ولم يترك لهم الا سيرة محبته التي اشعلت في قلوبهم محبة لم يقدر اعداؤهم بمرارة قلوبهم ان يطفئوا نيرانها المتأججة . وعند ما خرجوا الى العالم لم يكن عندهم سوى محبته التي كانت كنزهم الوحيد الذي لا ينفذ بل هم نفر قليل بدون ادنى أهلية ولا جدارة لهذا العمل العظيم وفي ضعفهم برهان كامل على ان نجاحهم من الله . لانهم لم يكونوا فلاسفة ولا خطباء ولا معلمين بل هم من قبيلة من البشر معتبرة عند اكثر الامم محتقرة و يزدري بها الجميع ازدواء خصوصيا. ومن الفئة الاقل اعتبارا

في تلك القبيله وكانوا فقراء وضعفاء مهانين ولم يعرفوا من المصالح العالمية سوى جباية العشور وصيد الاسماك ولا من اللغات سوى لغة الجليل

لكن والحالة هذه ارسلهم سيدهم لكي يكرزوا لجميع الامم والقبائل ويجولوا مبشرين ببشارة الخلاص. ومن المدهش انهم كانوا يتكلمون بلغات عديدة لم يدرسوها بل ارشدهم اليها روح الله . واقتحموا أسوار الديانة اليهودية الشامخة وسحقوا قوة الوثنية المحاطة بحصون الرذيلة والفساد والمصانة بمكر الكهنة وتقاليد العصور القديمة. ثم دخلوا مدارس الفلسفة العظيمة وبكتوا عجب اولئك الفلاسفة وافهموهم ان الله جهل حكمتهم . وفي هذا يصح قول يوحنا فم الذهب (١) « اين تعاليم افلاطون وفيثاغورس وفلاسفة اثينا ؟ قد تلاشت كلها ولكن اين تعاليم صانعي الخيام وصيادي السمك ؟ هي ليست في بلاد اليهود فقط بل يمكننا سماعها ايضاً باللغات الاخرى . الا ترون ان السكيثيين والهنود والمغاربه والبريطانيين المستوطنين اقصى اطراف العالم حاصلون على هذا التعليم الجليل . قد ترجم الانجيل الى لغتهم فوجد فيه بعضهم الحكم الحقيقية . اينما ذهبتم تسمعوا اسماء صيادي

---

(١) عن كتاب «خطيب المدينتين» او تاريخ حياة يوحنا فم الذهب. للمؤلف اه

السمك الجليليين من كل لسان ذلك لانه ليس هؤلاء الصيادين كانوا افضل من غيرهم من البشر بل من جراء قوة المصلوب الذي اعد الطريق لهم والذي صير الجهال احكم من الفلاسفه » اه

ان سلسوس عدو المسيحية عاب على الدين المسيحي انتصار الفقراء له بقوله « ان النساجين والاسكافيين والنجارين والصباغين واحط الناس تربية وعلماً هم الذين نراهم اشد الناس غيرة على هذا الدين المسيحي انهم طبقة من الناس لا يستطيعون ان يفتحوا افواههم في حضرة العلماء وليس لهم نفوذ الا على النساء والاطفال » اه . فرد ترتوليانوس عليه مفتخراً ببساطة الانجيل كبرهان على سموه الالهي « ان كل صانع مسيحي بسيط قد وجد الله وهو يستطيع ان يدلك عليه وبلا جدال يقدر ان يدرك كل شيء من الامور المطلوب معرفتها في الله ولو قال افلاطون انه ليس من السهل ان نجد الخالق ومتى وجدناه يستحيل ان نجعله معروفاً عند الكل » اه

ومما يجعل نجاح الرسل البسطاء من أهم المعجزات هو أن التعاليم التي علموا بها لم تكن مناسبة لاغراء الناس وتمليقهم بل كانت منافية لعقولهم جداً . فلا يخفى ان المزورين عندما يريدون اذاعة ديانة جديدة يجتهدون في جعل تعاليمهم ورسومهم مناسبة

لذوق الذين يقصدون تلمذتهم ولكن واضعي الديانة المسيحيـة لم يسلكوا مثل هذه الطريق المرضية للبشر بل كان أول ماطلبوه ان ينكر الانسان نفسه و يحمل صليبه وكان يأمرون بالتوبة عن كل الخطايا مهما كانت متملكة أو لذيذة وكانوا يطلبون طلباً جازماً بترك جميع الاملاك والاصحاب لاجل المسيح . وعلى ذلك فقبول الناس لتعاليم كهذه من اناس سذج كهؤلاء من الغرائب لانه لم يكن فيهم علم ولا حكمة لكي يصدروا في عقول الناس تأثيراً كافياً لاحداث مثل هذه الحركة . لانه من اين لهؤلاء الضعفاء الاستطاعة على اقناع عقول الناس المقاومين بحقائق لا يقبلها العقل بداهة ولا تلائم الطبيعة البشرية. ومن اين للصيادين والعشارين والجهلاء ان يقوموا في وسط مملوء من الافكار المتنوعة و بين قوم كلهم تعصب و يذيعوا مبادىء دين قد أهين صاحبه وقتل صلباً و ينادوا الناس للايمان بهذا المصلوب و يبشروا بين الامم الوثنية بمبادىء ترفضها دياناتهم و يعلموا بان يصدقوا أموراً لم يشاهدوها وتعاليم لا توافق . وكيف يمكن لهؤلاء المساكين قوة الاقناع في زمان كثرت فيه الآراء الفلسفية لولا ان الله صاحب هذا الدين هو الذي تعهد بانتشاره وقام باذاعة مبادئه متخذا هذه الوسائط الضعيفة وسيلة لاظهار قوته ليؤيد الوهية مصدر ديانته التي يجب ان تجل عن اتخاذ طرق

الارهاب والاغراء وغيرها من الوسائل البشرية .

وأية معجزة قاهرة ابهر من هذا النجاح الباهر فان التقدم السريع الذي لازم هذه الفئة القليلة لهو معجزة المعجزات واعجوبة كل العصور لا ينكرها من يجسر على انكار المعجزات ولا يختلف في صحتها اثنان

الا فليبطل افتخار اليهود بهليل وشمعي وليكف اليونان عن الاعجاب بافلاطون وزينون وابيكورس لان هؤلاء لم يستطيعوا ان يعملوا عملا مما عمله هؤلاء الرسل المساكين الذين لم يدرسوا في مدارس اثينا ولم يخطبوا الخطب الفلسفية العميقة بل فقط نادوا « بيسوع المسيح واياه مصلوباً » تلك المناداة التي ما فتئت تفعل في النفوس فعلا عظيما حتى ضمت تحت لوائها افراداً عديدين من كل اقطار المسكونة .



الفصل الثالث

اتباع الصليب

«دم الشهداء بذار الكنيسة» (كبريانوس)

من العجب ان يكون الضيق والآلام عاملا قويا فى ازدياد عدد المسيحيين فان كل نقطة دم كانت تسيل من مسيحي استشهد كانت تثمر مسيحيين كثيرين . وقد تم بالفعل ما قرره المسيح ورسله للمؤمنين الاولين من انتظار الاضطهاد والموت ومع ذلك لم يتوقف نجاح الديانة فى النمو وامتدت في كل ناحية وبما ان الديانة المسيحية نمت تحت الاضطهاد الدموي قد اتخذ كثيرون ذلك قاعدة فقالوا ان الاضطهاد ينمي كل دعوى

وان القلم يعجز عن وصف هول الاضطهادات المريعة التي هطلت نيرانها على رؤوس المسيحيين فان الاعداء اذاقوهم أشنع ضروب العذاب المريعة التي تقشعر من ذكرها الابدان .فاحرقوا البعض من المسيحيين بلظى النيران ليكونوا مصابيح في الظلمة وعلقوا البعض منهم على الصلبان وألبسوا كثيرين منهم جلود الوحوش وأخرجوهم للفرجة ثم قدموهم للاسود فمزقتهم وكم قتلوا الكثيرين بطرق متنوعة واستعملوا الآلات الحادة لتهشيم اعضائهم وسحق

عظامهم وأوقدوا الحديد بسعير النيران الملتهبة واجلسوا بعض المسيحيين عليه حتى ذابت لحومهم . وتجرع المؤمنون من الآلام المرة في تلك الازمان ما يشيب لهولها الولدان اذ اتحد عليهم الولاة الرومانيون مع الشعوب الوثنيين لغرض واحد وهو استئصال دين المسيح واستعملوا كل قوة بشرية فى تعذيب المسيحيين وقتلهم حتى انه في وقت وجيز جدا كثر عدد الذين استشهدوا وقد اخبر مؤرخو تلك العصور ان الجوع أو الحرب او الوباء لم يهلك في وقت ما اكثر منهم . قال كبريانوس : « وكانوا وهم في العذاب أشد وأقوى من معذبيهم وكانت اعضاؤهم المرضضة وعظامهم المهشمة قاسية على الآلات التي تسحقها وتقطع لحومها والجلدات المتواصلة لم تقو على ايمانهم المنيع مع انها كانت تقطع لحومهم أرباً وتمزق امعاءهم ايضا» اه هذا ماقرره بعض الذين استمروا يكابدون ذلك الى نهاية الحياة

ولما تشتت المؤمنون من اورشليم من شدة الاضطهاد جالوا مبشرين بالكلمة وفي اقل من ثلاث سنوات نظمت كنائس كثيرة في كل اليهودية والجليل والسامرة . وغب ذلك بسنتين او بعد ابتداء العمل بسبع سنين كرز بالانجيل أولا في ما بين الامم . وهكذا أخذ العمل يتقدم فلم يمض ثلاثون سنة من موت المسيح حتى انتشرت كنيسته في اليهودية والجليل والسامرة وفي نحو كل مقاطعات اسيا

الصغرى العديدة وفي بلاد اليونان وجزائر بحر الروم وسواحل افريقيا وفي ايطاليا ورومية ايضا . وكان عدد المؤمنين في كل مدينة يذكر مقروناً بهذه العبارات وهي « عدد عظيم » و « جماهير كثيرة » و « جمع كثير »

فالامر واضح من التاريخ ان الديانة المسيحية غلبت واتسعت في مدة قصيره في اماكن شتى وهذه الاماكن لم تكن منفرده ولا بعيدة عن نور العلم ولكن كانت من المدن العظمى في تهذيب اهلها وتمدنهم وكان فيها كل نوع من علوم ذلك العصر واليها كانت تتقاطر العلماء . فكانت دمشق وانطاكيه ,وافسس وكورنثوس وفيلبي وروميه هى الاماكن التي اشرق فيها نور الانجيل اولا . وعلى ما يعرف لم توجد مدينة شهيرة في المملكة الرومانية الا وقد تأسست فيها كنيسة مسيحية قبل موت الرسل ولا يخفى ان هذا الامر لم يكن فى قرن مظلم بل كان في قرن يعترف الجميع بانه كان من اعلم القرون القديمة . وهو القرن الذي كان بعد القرن الاوغسطاني الذي اشتهر لدى الخاص والعام بالعلماء الماهرين والادباء البالغين . فلو كان الانجيل تزويراً لما كنا نرى المبشرين يذهبون به اولا الى مثل هذه الاماكن . ولو ذهبوا لانكشف امرهم في الحال

وفي السنة الثلاثين من الشروع في هذا العمل اضطرمت لهب نار اضطهاد نيرون المهوله فازداد حينئذ عدد المسيحية في روميه كثيراً جداً حتى قبض على جمع عظيم حسب قول تاسيتوس و بعد اربعين سنة قال افيلنيوس الحاكم الروماني على بنطس و بيثينيه في مكتوب ان الديانة المسيحية كانت قد تأسست من زمان طويل في هاتين الولايتين مع انهما بعيدتان جداً عن اورشليم وان كثيرين من كل عمر ودرجة ذكوراً واناثاً أشتكي عليهم امامه بكونهم مسيحيين

و بناء عليه فنجاح المسيحية بهذه الطرق البسيطة لهو من معجزات التاريخ مما يدل صريحاً على مصدره الالهي فلا ينسب تقدمه الغريب الا الى انه من الله ولان صفاته السامية فعلت في الناس هذا الانقلاب العجيب. لان الدين الذي قام به يسوع المصلوب المحتقر. الدين الذي يعلم الناس ان يكونوا ودعاء متفقين يحتملون الظلم ولا يعلمون الاساءة. الدين الذي ينجح و يتقدم مع وجود كل القوات المختلفة الكافية لاطفأ كل قوة ضدها و يتغلب عليها جميعها و يقهرها تحت سلطانه بل و يستخدمها في نجاحه لهو دين الله المؤيد منه تعالى. وان نجاحاً هذا مقداره لابد وان يكون منشاه قوة الله غير المحدودة وقيامة المسيح المجيدة

ثم ان ما احتمله المسيحيون الاولون من العذاب لاجل ديانتهم

كان شديداً ويشهد به الجميع يهود وأمم. والذي يثبت برهاننا الى غاية ما يكون هو انه كان يمكنهم الخلاص حالا من عذابهم لو رفضوا الديانة المسيحية. ولم تكن عند مضطهديهم غاية سوى الجائهم الى ذلك. وكانوا يخيرونهم دائماً بين تقديم الذبيحة او البخور لآلهتهم وبين احتمال العذاب. فقد كانت كلمة واحده كافية لخلاصهم وعمل هين كافياً لرجوعهم الى خيرات العالم وشرفه ولكنهم تمسكوا بما كانوا عليه اشد التمسك. نعم ان بعضهم سقط من شدة قساوة المعذبين ولكن لم يسمع قط من احدهم انه كان بينهم شيء من المكر والتزوير. بل كان الذين تنكسر شجاعتهم في ساعة العذاب لايزالون متأسفين على ضعفهم كل ايام حياتهم والحاصل انه لم يقتل احد لاجل الديانة المسيحية قهراً بل كان كل شهيد يبذل نفسه باختياره تمسكا بالحق وحفظا لسلامة الضمير

قال بعض المؤرخين « يجب النظر الى مصائب المسيحيين الاولين من وجه آخر وهو السجايا التي ظهرت منهم حينما كانوا يحتملون كل نوع من العذاب. فان أناساً من كل سن ورتبة ذكورا واناثاً قد اظهروا تحت العذاب الاليم المستطيل شجاعة وصبراً لا نظير لهما فى تاريخ جميع العالم. فرحوا عند ما أمسكهم الظالمون وتودعوا من اقرب الاهل وأعزهم بكل بشاشةودخلوا فى النار بكل

سرور وترحبوا بالوحوش الضارية التي اطلقت عليهم لتفترسهم وتبسموا لما رأوا تلك الآلات التي تمزقت بها لحومهم وانخلعت مفاصلهم وتكسرت عظامهم وعند ماحكم عليهم بالموت لم يظهر عليهم التألم بل طلبوا من اصحابهم ان لا يتعرضوا في سبيل سعادتهم (أي الموت) فى سبيل الله ولو بالصلوات لاجل نجاتهم » اه

فما هذه الشجاعة الفائقة القدرة البشرية ؛ وأي روح عاون هذه الجماعة الحقيرة المضطهدة ؟ وأية مبادىء طبيعية في تركيب الانسان تكون علة كافية لهذه الغلبة على الألم والموت ؟ هل كانوا يحتملون كل ذلك اذا لم يكونوا مؤمنين بانهم يقاتلون فى سبيل دين هو زور وبهتان ؟ فمن المحال ان يحتملوا العذاب بالفرح لاجل مايعلمون انه زور . والحال ان نساء شريفات وشيوخاً طاعنين فى السن كانوا أشجع من الشبان والاقوياء اذ كانوا يسلمون فى انفسهم حتى الموت وشهدوا وختموا شهادتهم بدمائهم والآن قد تسربلوا بثياب بيضاء وهم يسبحون تسبحة موسى والخروف والاغصان فى ايديهم . فطوباكم أيها الشهداء قد استرحتم من اتعابكم واعمالكم تتبعكم .

أجل . بمثل هذه الظروف كانت الكنيسة محاطة فى تلك الايام غير انها لم تقف عن حد محدود بل جعلت تتقدم وتمتد

وتقوّض اركان كل ما تراه معوّقاً لسيرها و بعد مدة ٣٠٠ سنة من بدء تأسيسها صارت دين المملكة الرومانية الرسمي وسقطت الديانة الوثنية العظيمة حتى صرخ آخر قياصرة الوثنيين الرومان عند موته قائلا : « لقد انتصرت أخيراً أيها الجليلي » اه

الخاتمة

« روح الرب عليّ لانه مسحني لابشر المساكين . أرسلني لاشفي المنكسري القلوب لانادي للمأسورين بالاطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية » (لو ٤ : ١٨)

منذ تسعة عشر جيلاً والبشر يعبدون الضعف بشخص يسوع، ويسوع كان قوياً ولكنهم لايفهمون معنى القوة الحقيقية

لقد أفضنا فى الباب الثالث في وصف ضعف المسيح انسانياً وهذا لايؤخذ منه ان يسوع كان ضعيفاً فى كل شيء حاشا. لانه كان قوياً فى ارادته . قوياً فى حجته . قوياً فى اعماله ،قوياً فى كل شيء غير انه تجرد مما يقال له « القوة العالمية » أي من دلائل صحة دينه انه لم يقم بتعزيز قوة بشرية ولا بمساعدة وسائط زمنية

اننا كثيراً مانرى يسوع الناصري مولوداً كالفقراء عائشاً

كالمستاكين مهاناً كالضعفاء مصلوباً كالمجرمين فنبكيه ونرثيه ونندبه وهذا مانفعله لتكريمه

كلا ! ماعاش يسوع مسكيناً خائفاً . ولم يمت شاكياً متوجعاً. بل عاش قوياً . وصلب شجاعاً . ومات جباراً

لم يكن يسوع طائراً مكسور الجناحين بل كان عاصفة هوجاء تكسر بهبوبها جميع الاجنحة المعوجة

لم يخف يسوع مضطهديه ولم يخش أعداءه ولم يتوجع امام قاتليه بل كان حراً على رؤوس الاشهاد . جريئاً امام الظلم والاستبداد . يرى الامراض الروحيـة فيبضعها . ويسمع الشر متكلما فيخرسه ، ويلتقى الرياء فيصرعه

* * *

الا ايها الجبار المصلوب

الناظر من أعالي الجلجثة الى مواكب الاجيال. السامع ضجيج الامم . الفاهم مايجرى تحت ستار الظلام . انت على خشبة الصليب المضرجة بالدماء اكثر جلالا ومهابة من الف ملك على الف عرش فى الف مملكة . بل انت بين النزع والموت اشد هولا و بطشاً من الف قائد فى الف جيش فى الف معركة لانك بضعفك و بصـيادي

السمك و باضطهاد شعبك أسست مملكة عظيمة دالت لها كل الاعناق

انت بكآبتك اشد فرحاً من الربيع بازهاره . انت باوجاعك اهدأ بالا من الملائكة بسمائها . وانت بين الجلادين اكثر حرية من نور الشمس

ان اكليل الشوك على رأسك هو اجل واجمل من تاج بهرام (١) والمسمار فى كفك اسمى وافخم من صولجان المشتري وقطرات الدماء على قدميك أسنى لمعاناً من قلائد عشتاروت (٢)

فسامح اولئك الضعفاء الذين ينكرون الوهيتك والذين يهزأون بدينك . واغفر لهم لانهم لا يعلمون بانك صرعت الموت بالموت ووهبت الحياة لمن في القبور

***

وختاماً نرحب بذلك اليوم السعيد الذي فيه تسود المبادىء المسيحية على كل العالم وتتشرب بتعاليمها فعلا لا أسما فتنموا روح الفضيلة والصدق والرفق والمحبة والتواضع والرحمة والاخاء والمساواة وتتلاشى الضغائن والاحقاد بين عناصر البشر المختلفة و يصبح العالم باجمعه ملكا للمسيح خاضعاً لسلطانه (انتهى)

---

(١) بهرام شاه العجم (٢) عشتاروت آلهة للصيدونيين (قض ٢ : ١٣) ودعيت هذه الالهة ملكة السماء ولذلك قلدها عابدوها بقلائد من انفس الجواهر ضرب بها المثل للاشياء الثمينة . اه

(في ملء الزمان)

بينما كان الكتاب ماثلا للطبع اطلع على الاصول حضرة صديقنا الفاضل خليل افندي رزق فاتحفنا بكلمة ثمينة جادت بها قريحته النيرة ادرجناها هنا مع الشكر الجزيل ونحسبها ترفة شهية تروق لحضرات قراء كتابنا الكرام فيقتطفونها بشوق ورغبة لما حوت من جليل اللفظ و بديع المعنى . وها هي : —

***

عبد المصريون قديماً العجل ابيس وعبد الرومان جو بتير والهنود برهما والصينيون كنفوشيوس وكل يعتقد ان معبوده مظهر من مظاهر الخالق به يتقرب اليه زلفى فدل هذا على حاجة البشر بالفطرة الى وسيط يكون حلقة الاتصال بين الخالق والمخلوق ويكون مثلا اعلى ونموذجاً كاملاً في التقى والقداسة

(وفي ملء الزمان) جاء يسوع بهاء مجد الله ورسم جوهره واتخذ جسداً وولد من عذراء كي يدرك البشر به الله و يروه فيه جاء نوراً للعالم فأكمل الشرائع على مقياس المحبة وانكار الذات . وامر بمحبة العدو واستعمال الخير سلاحاً لغلبة الشر وعلم بطهارة القلب

والفكر . وأسس مملكته لا بقوة السيف ولكن بقوة المحبة فاصبح عدد تابعيه ٧٠٠ مليون مع ما وقع عليهم في بدء تاريخهم من الاضطهاد فعذبوا ونشروا وأحرقوا احياء وأموات واحتملوا كل ذلك بفرح ولسان حالهم يقول

انى احب الرب لا لأ ربح النعيم
ولا لكي انجو من ال عذاب في الجحيم
لكن احبه لان لي حبه يحلو
وهو الذي من فضله احبني قبل

فوجود المسيحية اليوم هو معجزتها وتسيطرها على عالم الادب والسياسة دليل على قوة تأثيرها

وكما ان نور الشمس لا يخفى الا على من اظلمت بصيرته كذلك لا يري جلال « شمس البر » من وضعوا على عيونهم حجابا كثيفاً واوصدوا قلوبهم واسكتوا ضمائرهم بل أماتوها حتى لا يزعجهم تبكيتها . وقد كثر امثال هؤلاء الذين أخذوا من العلوم قشورها وخالوا انفسهم من الراسخين غير انه قد طاش سهمهم وخاب ظنهم فانهم بذلك عجزوا من معرفة ما يدريه البسطاء ولقد صدق في ذلك قوله المجد « اخفيت هذا عن الحكماء والعلماء واعلنته للاطفال » بيد انه لامراء في ان كتاب « الدليل الصحيح » هذا من اهم الكتب التي تقود من يطالعها الى « قديم الايام » و« ملك الدهور » وهذا مما يسر كل محبي صهيون ؟ خليل رزق

(تحفة نفيسة)

لقد اتحفنا حضرة الفاضل الشيخ اسكندر عبد المسيح الباجوري بقصيدة نفيسة تبرهن على شديد اخلاصه لكنيستنا القبطية . ولا غرو فانه معروف بمؤلفاته العديدة وقصائده ومقالاته التي ملأت اعمدة جريدة الحق فله منا الثناء . وهذه هي قصيدته الغراء

للقبط في مرقى العلى وثباتُ ولهم جهاد في الملا وثبات
قطعوا العهود لمرقس وتمسكوا بعهودهم فأعزهم سادات
مذ جاء كاروز الديار مبشراً فتتلمذوا وتحسنت عادات
عاشوا بجد حافظين لعهدهم في الاورثوذكس حياتهم وممات
عاشوا بايمان قويم مقنع شهدت لهم فى الله مؤتمرات
تقليدهم من عهد وحي مسيحنا اصلاحهم سجدت له الهامات
حفظوا «الكتاب» وترجموه بدقة لم يثنهم ظلم ولا عثرات
سنوالنا قانون ايمان به محق الجحود وجله فقرات
من بعد ذا جاء الرجيم بجنده فأصابنا ضر به وشتات
كثر اضطهاد الظالمين وبغيهم فاستشهدَ الآلاف والربواتُ
ولقد صبرنا في قرون قد خلت حتى خلت منا مديرياتُ
عاش العدو فساده في ارضنا وبديننا مذ كانت الظلماتُ

فتضافر الشيطان مع اعدائنا ... بين الانام فساءت الغاياتُ
وانحط شعب الله من عليائه ... وطغى البغاةُ فهاجموا وأماتوا
بدأ التنور في البلاد مشوهاً ... فأضاع شباناً لهم نفثاتُ
فتدرونوا وتمسكوا بطبيعة ... وبدت لهم في كفرهم همزاتُ
ظن العدو بأننا في هزيمة ... أو اننا موتى وليس حياة
واذا « منسّى» في ميادين الهدى ... أبدى جهاداً كله حسنات
ينسى « منسّى » أنه نسل الالى ... منهم جنود انجدوا ورعاة
نسل القمامصة الكرام وآله ... كانت لهم في ديننا نصرات
لاريب ان الشبل يشبه والداً ... حكم الطبيعة في الانام عظاتُ
رباه شماس الشموس «حبيبنا» ... رأس الرؤوس بعلمه يقتاتُ
فأجاد تربية اتت بنتائج ... نعم النتائج والعلوم هبات
رباه مجتهداً وهذا ضوءه ... باد بمجد كله آيات
فأتى بكتب كالكتائب منجداً ... واذا عددت فانها عشراتُ
لكن انفعها لارباب الحجى ... هذا الكتاب وهذه الصفحاتُ
هذا الصحيح من الادلة كلها ... تأثيره زادت به النفحات
ويليه « نور باهر» من قصده ... شرح الكتاب كأنه نغمات

اسكندر عبد المسيح الباجوري
المبشر المستقل

فهرس

« كتاب الدليل الصحيح على تأثير دين المسيح »

وجه



(موءلفات الموءلف)

تطاب من ادارة المطبعة الانكليزية بشارع المناخ نمرة ٣٧ بمصر

ص

١٠ (النور الباهر في الدليل الى الكتاب الطاهر)

قال عنه أحد علماء الانكليز المستشرقين : « هو مجلد نفيس جدير بان يذيع صيته في انحاء العالم العربي ويؤخذ حجة في المدارس الدينية المصرية » اه وذلك لانه تناول أهم المباحث عن الكتاب المقدس التي تساعد من يطالعها على الاستفادة من معانيه السامية وتجعله ان يستنير بأقواله المقدسة

٥ « الدليل الصحيح على تأثير دين المسيح »

٥ « خطيب المدينتين أو تاريخ حياة يوحنا فم الذهب » وضعته بالاشتراك مع حضرة العامل العالم المستر ابسون مدير المطبعة وهو يحتوي على تاريخ أشهر واعظ شرقي (مزين بالرسوم والخرائط)

Kitāb ad-dalīl aṣ-ṣaḥīḥ ‘alā ta’ṯīr dīn al-masīḥ

Manassā al-Qummuṣ

Miṣr, 1920

urn:nbn:de:hbz:5:1-197742